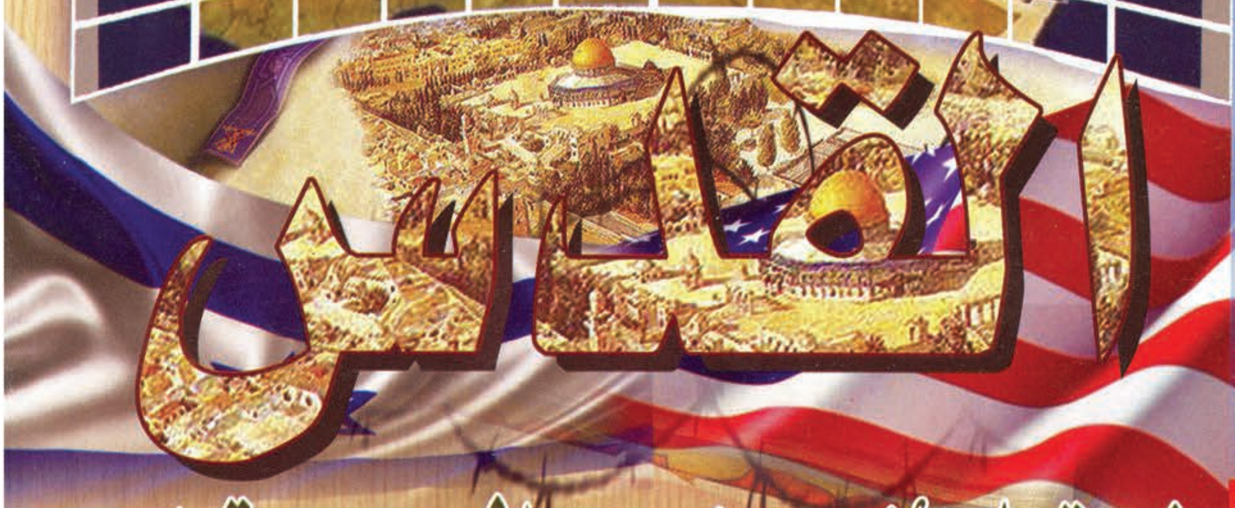
التوحيد

تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية • العدد ٥٥٦ السنة السابعة والأربعون • ربيع الآخر ١٤٣٩ هـ • الثمن ٣ جنيهات





القدس

زهرة المدائن.. بين وعد بلفور ووعد ترامب

- نظرات في موسوعة بيت المقدس وبلاد الشام الحديثية
- سبيل المؤمنين في فقه التعامل مع المخالفين
- عذراً رسول الله صلى الله عليه وسلم

رئيس مجلس الإدارة

أ د. عبد الله شاكر الجنيدي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾

صاحبة الامتياز

جمعية أنصار السنة المحمدية

المشرف العام

د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية

جمال عبد الرحمن

معاوية محمد هيكل

د. مرزوق محمد مرزوق

محمد عبد العزيز السيد

السلام عليكم

محطات مهمة في تاريخ القدس

لقد مر أقصانا الشريف بمحطات مهمة في تاريخه:

١- في ١٠هـ، أُسْرِيَ برسول الله صلى الله عليه وسلم، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

٢- تحررت القدس في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٥ هـ من يد الرومان.

٣- في عام ٧٢هـ قام عبد الملك بن مروان ببناء مسجد قبة الصخرة، وجعل لها قبة ذهبية.

٤- في سنة ٩٠ هـ قام ابنه الخليفة الوليد بن عبد الملك ببناء الجامع القبلي وهو الجامع الذي صلى فيه الفاروق.

٥- سقطت القدس في يد الصليبيين عام ٤٩٢هـ، ثم حررها صلاح الدين عام ٥٨٣هـ في معركة حطين.

٦- تعرضت القدس مرة ثانية للغزو الصليبي، إلى أن حَرَّرَها نجم الدين أيوب رحمه الله عام ٦٤٠هـ.

٧- وفي عام ٦٤١هـ، تعرضت مدينة القدس إلى الغزو المغولي، فهزمهم المماليك في معركة عين جالوت ٦٥٧هـ.

٨- في سنة ١٠٢٥هـ أصبحت القدس مدينة تابعة للخلافة العثمانية، بعد معركة مرج دابق.

٩- صدر وعد بلفور ١٩١٧م ، وأعلن عن قيام دولة إسرائيل وعاصمتها القدس الغربية، في حين ظلت القدس الشرقية خاضعة للسيادة الأردنية، إلى حين هزيمة يونيو ١٩٦٧، التي نتج عنها ضم القدس بأكملها لسلطة الاحتلال الصهيوني.

فمن يحررها الآن؟!

التحرير

إدارة التحرير || ٨ شارع قولة عابدين - القاهرة ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

المركز العام || WWW.ANSARALSONNA.COM هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦

البريد الإلكتروني || MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير || GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات || ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ || ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

رئيس التحرير:
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني:
حسين عطا القراط

في هذا العدد



سكرتير التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين ، مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس- مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون.

٢- في الخارج ٣٠ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة حساب رقم / ١٩١٥٩٠

ثمن النسخة

مصر ٣٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

مطابع الأهرام التجارية ACP

١٠٥٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن .

منفذ البيع الوحيد بمقر مجلة التوحيد الدور السابع

افتتاحية العدد

من أسباب إنزال العذاب

الحلقة الثانية

بقلم/ الرئيس العام
د/ عبدالله شاكر الجنيدي
www.sonna_banha.com

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيلهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.. وبعد:

فقد ذكرت في اللقاء الماضي طرفًا من أسباب غضب الله على عباده وإنزال العذاب عليهم، وفي هذا اللقاء نتابع القول في ذلك، ونذكر بعض أسباب ذلك، فأقول وبالله التوفيق:

٣- الذنوب والعصيان:

إن للذنوب والعصيان آثارًا قبيحة على الفرد والمجتمع، وضررها يفسد دنيا العبد وآخرته، وما من مصيبة تقع في الكون إلا بسبب ذنوبٍ ارتُكبت، كما قال الله تعالى: « وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ » (الشورى:٣٠)، وقد أفرد الإمام ابن القيم رحمه الله مصنفًا عن آثار الذنوب وعواقبها الوخيمة، وقد أشار فيه إلى أنها تضر بالقلب والبدن، وتكون سببًا في حرمان العلم والرزق، ووقوع ألوان من الفساد في الأرض، ومن أعظم ما ذكر أن المعصية سببٌ لهَوان العبد على ربه وسقوطه من عينه، قال الحسن البصري: "هانوا عليه فعصوه، ولو عزوا عليه لعصمهم"، وإذا هان العبد على الله لم يكرمه أحدٌ، كما قال الله تعالى: «وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ» (الحج:١٨). (الجواب الكافي ص٣٨).

من صور عقوبات المذنبين:

وقد ذكر القرآن الكريم ألوانًا من العقوبات التي عاقب بها رب العباد فريقًا من المذنبين، فقال تعالى: « فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ » (العنكبوت:٤٠)، والمعاصي إذا كثرت وعمَّت وقع الهلاك على أهل الأرض، كما في الصحيحين عن زينب بنت جحش رضي الله عنها قالت: استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم من النوم محمرًا وجهه وهو يقول: «ويل للعرب من شر قد اقترب، فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه- وعقد سفيان تسعين أو مائة- قيل: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر الخبث». (البخاري: ٧٠٥٩، ومسلم: ٢٨٨٠).

قال ابن حجر في شرحه: «إنما خص العرب بالذكر؛ لأنهم أول من دخل في الإسلام، وللإنذار بأن الفتن إذا وقعت كان الهلاك أسرع إليهم». (فتح الباري ١١/١٣).

وقال النووي في شرحه لكلمة «الخبث»: «هو بفتح الخاء والباء، وفسره الجمهور بالفسوق والفجور، وقيل: المراد

الزنا خاصة، وقيل: أولاد الزنا، والظاهر أنه المعاصي مطلقًا، ومعنى الحديث: أن الخبث إذا كثُر فقد يحصل الهلاك العام وإن كان هناك صالحون». (شرح النووي على مسلم ١٨/٣).

وقد جاء في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الأنواع التي يقع بها هذا الهلاك، وأنه في آخر الزمان، كما في حديثها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يكون في آخر هذه الأمة خسف ومسخ وقذف». قالت: قلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث». (صحيح سنن الترمذي ٢/٢٣٧).

ومع هذا فقد يعجِّل الله العقوبة على العصاة المسرفين، كما وقع لقوم لوط. قال الله تعالى: «قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ» (الذاريات:٣١-٣٤).

وقد أبقى الله ديارهم من بعدهم لتكون عبرة للمعتبرين، كما قال رب العالمين في سياق حديثه عن إهلاكهم: «وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ» (الحجر:٧٦). قال الشنقيطي رحمه الله في معنى الآية: «بيَّن تعالى في هذه الآية الكريمة أن ديار قوم لوط وآثار تدمير الله لها بسبيل مقيم، أي: بطريق ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعدُ، يمر بها أهل الحجاز في ذهابهم إلى الشام، والمراد أن آثار تدمير الله لهم التي تشاهدونها في أسفاركم فيها لكم عبرة ومزدجر يوجب عليكم الحذر من أن تفعلوا كفعلهم؛ لئلا ينزل الله بكم مثل ما نزل بهم، وأوضح هذا المعنى في مواضع أُخَر من كتابه كقوله: «وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ» (الصافات:١٣٨)». (أضواء البيان: ٣/١٥٩).

أقسام الذنوب:

وقد أطبقت كلمة أهل العلم على أن الذنوب تنقسم إلى كبائر وصغائر، وقد دل القرآن الكريم على ذلك، كما في قوله تعالى: «إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا» (النساء:٣١)، قال ابن كثير في معنى الآية: «أي: إذا اجتنبتم كبائر الآثام التي نُهيتم عنها كفَّرنا عنكم صغائر الذنوب، وأدخلناكم الجنة، ولهذا قال: «وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا» (النساء:٣١)». (تفسير ابن كثير ١/٦٦٠).

وقد اختلف العلماء في تعريف الكبيرة والصغيرة، وأمثل هذه الأقوال: أن الكبيرة: كل ذنب خُتم بلعنة، أو غضب، أو نار، فهو من الكبائر، وأما الصغيرة: فهي ما دون الحدين: حد الدنيا، وحد الآخرة. (انظر: مجموع الفتاوى ١١/٦٥٠).

وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم باجتناب كبائر الذنوب، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اجتنبوا السبع الموبقات». قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات». (البخاري: ٢٦٨٥٧).

> «أطبقت كلمة أهل العلم على أن الذنوب تنقسم إلى كبائر وصغائر.»

وقد اقتصر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث على سبع موبقات فحسب، وإلا فهي أكثر من ذلك، ولكن ما ذكره أعظمها إثمًا وضررًا، وقد ألَّف ابن حجر الهيتمي رحمه الله كتابًا جمع فيه جملة من الكبائر وصل بها إلى سبع وستين وأربعمائة كبيرة.

ومما ذكره في كتابه: الشرك الأصغر، وهو الرياء، والغضب بالباطل، والحقد والحسد، والكبر والعجب والخيلاء، والإعراض عن الخلق؛ استكبارًا واحتقارًا لهم، والاشتغال بعيوب الخلق عن عيوب النفس، والمداهنة، وحب المدح بما لا يفعله، واتباع الهوى والإعراض عن الحق، والمكر والخداع، ومعاندة الحق، وسوء الظن بالمسلم، وكتم العلم، وعدم العمل به، وتعمُّد الكذب على الله تعالى، أو على رسوله صلى الله عليه وسلم، وملازمة الشر والفحش حتى يخشاه الناس اتقاء شره، وكسر عظم الميت، والجلوس على القبور واتخاذها مساجد، وتعليق التمائم، والمُثْلة بالحيوان، وإيذاء

الجار، واليمين الغموس، واليمين الكاذبة، والدلالة على عورات المسلمين، وشهادة الزور وقبولها، وكتم الشهادة بلا عذر، وغير ذلك مما ذكره رحمه الله، وعلى كل فالمعاصي كلها قبيحة، وهي متفاوتة في القبح.

قال ابن الجوزي رحمه الله: «كل المعاصي قبيحة، وبعضها أقبح من بعض، فإن الزنا من أقبح الذنوب، فإنه يُفسد الفراش ويُغيِّر الأنساب، وهو بالجارة أقبح، فقد روى البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي ذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله ندًا وهو خلقك». قلت: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك من أجل أن يطعم معك». قلت: ثم أي؟ قال: أن تزني بحليلة جارك»؛ وإنما كان هذا لأنه يضمُّ إلى معصية الله عز وجل انتهاك حق الجار. (صيد الخاطر ص٣٢٨).

ويلحق بهؤلاء في الجرم والقبح: اللوطية، وقد وسم الله في كتابه اللوطية بالخبث والنجاسة، قال الله تعالى: « وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ » (الأنبياء:٧٤)، وقالت اللوطية: « أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ » (النمل:٥٦)، فأقروا على أنفسهم أنهم هم الأخباث الأنجاس، وأن لوطًا وآله مطهرون من ذلك باجتنابهم له. (انظر: إغاثة اللهفان ١/٦٦).

ولقد تجرأ بعض الناس على حرمات الله وانتهكوها، وهذا يوجب غضب الرب سبحانه وتعالى على أهل الأرض، ولذلك أقول لكل مسلم: حاسب نفسك قبل الوقوف بين يدي ربك، وكن ناصحًا صادقًا لنفسك التي بين جنبيك، وراقب فيها ربك المهيمن عليك، واعلم أن كل حركة تتحركها، أو كلمة تقولها، أو نظرة تأتي بها مسجلة عليك، وإن نسيتها فلم ينسها من أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، قال الله تعالى: « يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ » (المجادلة:٦).

ومما أرى التنويه عليه هنا: أن المرتكب للذنوب من أهل الإيمان، لا يخرج بارتكابه إياها عن الإسلام، وإن كان معرضًا لعذاب الله تبارك وتعالى، بخلاف ما ذهب إليه أهل الإرجاء، وقد عقد الإمام البخاري في كتاب الإيمان من صحيحه بابًا قال فيه: «المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابه إلا الشرك، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إنك امرؤ فيك جاهلية»، وقول الله تعالى: « إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ » (النساء:١١٦)، وهذا يدل على فقه الإمام البخاري رحمه الله، قال ابن حجر في شرحه: «قَالَ ابْن بَطَّال: غَرَض الْبُخَارِيّ الرَّدّ عَلَى مَنْ يُكَفِّر بِالذُّنُوبِ كَالْخَوَارِج، وَيَقُول: إنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ يُخَلَّد فِي النَّار، وَالْآيَة تَرُدّ عَلَيْهِمْ لِأَنَّ الْمُرَاد بِقَوْلِهِ: (وَيَغْفِر مَا دُون ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاء) مَنْ مَاتَ عَلَى كُلّ ذَنْب سِوَى الشِّرْك» (فتح الباري ١/٨٥).

> ❝ على المسلمين التمسك بميراثهم لحماية مقدساتهم. ❞

وقد دلَّ هذا الباب أيضًا على أن من بقيت فيه خصلة من خصال الجاهلية سوى الشرك لا يخرج عن الإيمان بها، كما دلَّ على خطورة الشرك وجرمه، وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «كل شيء عُصي الله به فهو كبيرة، فمن عمل شيئًا منها فليستغفر الله، فإن الله لا يُخلِّد في النار من هذه الأمة إلا راجعًا عن الإسلام، أو جاحدًا فريضة، أو مكذبًا بقدر». (معالم التنزيل ١/٤١٩).

أسأل الله تعالى أن يرزقنا خشيته وتقواه، وأن يجنبنا ما لا يحبه ويرضاه. وبينما المجلة ماثلة للطبع تنامى إلى أسماعنا ما أحاط بالمسجد الأقصى المبارك من تدبير من أولئك الظالمين الذين دأبوا على الظلم والبهتان والتعدي على المقدسات والأوطان، ثم بعد ذلك تزييف الحقائق والتاريخ؛ وهنا نؤكد أن المسجد الأقصى المبارك هو ميراث المؤمنين من لدن أبي الأنبياء إبراهيم، مرورًا بأنبيائه وعباده الصالحين، حتى وصل الميراث إلى أتباع خاتم أنبيائه ورسله محمد صلى الله عليه وسلم.

فيا أتباع رسول الله، حافظوا على ميراثكم بالتمسك بكتاب ربكم ونصرة نبيكم، يتحقق فيكم موعود ربكم: { كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ } [المجادلة: ٢١].

بقلم رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@YAHOO.COM

القدس «زهرة المدائن».. بين وعد بلفور ووعد ترامب

الحمد لله مُعزّ الإسلام بنصره، ومُذلّ الشرك بقهره، ومُصرِّف الأمور بأمره، ومُستدرِج الكافرين بمكره، الذي قدَّر الأيام دُولًا بعدله، وجعل العاقبة للمتقين بفضله، وبعدُ:

ما أشبه الليلة بالبارحة! فعلها بلفور وكررها ترامب!! وسُنة الله ماضية، ووعدُ الله آتٍ، وسوف تثبت الأيام أن وعد ترامب المشئوم في عام ٢٠١٧م بمحاولة «شرعنة» أمريكا للقدس عاصمة للكيان الصهيوني الغصيب لديار شعب فلسطين، وقراره بنقل السفارة الأمريكية إليها، كان أخطر وأفظع وقاحة وحمقًا من وعد بلفور المشئوم في عام ١٩١٧م؛ لأنه أظهر الكثير لما كان الظلام يُخفيه، وأزاح الستار عما كان الغموض والتآمر في السياسة الأمريكية تجاه قضايا العرب والمسلمين يستره ويداريه، ودعم مفتوح لجرائم اليهود.

وفي أوقات الضعف والهوان يتربص الأعداء، وينقضون على فريستهم التي أنهكها التشرذم والوهن وحب الدنيا، فقد غارت الأمة في غياهب المؤامرات والفتن التي أشعلها الأعداء عندما تكالبوا عليهم من كل فج عميق فنسوا وتناسوا في وسط تلك الصراعات قضيتهم الأولى فلسطين وشعبها، والقدس وأقصاها، وبعدوا عن دينهم، وعن ربهم، فانهال عليهم الأعداء، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

عروبة القدس تضرب في أعماق التاريخ

وعن لمحات من تاريخ القدس «زهرة المدائن» فقد أصدر الأزهر الشريف في ٢٠ نوفمبر ٢٠١١م، وثيقة بعنوان «وثيقة الأزهر عن القدس الشريف»، ومع صدور هذه منذ أكثر من ست سنوات، إلا أنها تضمنت تفنيدًا تاريخيًا للمغالطات التي أوردها «ترامب» في خطابه المشئوم حول القدس وما يتعلق -تزييفًا- بيهوديتها.

وقد شددت الوثيقة على أن عروبة القدس تضرب في أعماق التاريخ لأكثر من ستين قرنًا، حيث بناها العرب اليبوسيون في الألف الرابع قبل الميلاد، أو قبل عصر أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام بسبعة وعشرين قرنًا. وأوضحت الوثيقة أن شريعة موسى عليه السلام، وتوراته قد ظهرت بمصر الناطقة باللغة الهيروغليفية قبل دخول بني إسرائيل غزاة إلى أرض كنعان، وقبل تبلور اللغة العبرية بأكثر من مائة عام، ومن ثَمَّ فلا علاقة لليهودية، ولا للعبرانية بالقدس ولا بفلسطين.

ولفتت الوثيقة إلى الوجود العبراني في مدينة القدس لم يتعد ٤١٥ عامًا، بعد ذلك على عهد داود وسليمان عليهما السلام في القرن العاشر قبل الميلاد.. وهو وجود طارئ وعابر، حدث بعد أن تأسست القدس العربية، ومضى عليه ثلاثون

قرنًا من التاريخ.
وشددت وثيقة الأزهر على أن احتكار القدس وتهويدها في الهجمة المعاصرة، إنما يُمثِّل خرقا للاتفاقيات والقوانين والأعراف الدولية، التي تُحرِّم وتُجرِّم أي تغيير لطبيعة الأرض والسكان والهوية في الأرض المحتلة، ومن ثَمَّ فإن تهويد القدس فاقد للشرعية القانونية، فضلاً عن مخاصمة لحقائق التاريخ التي تطعن في عروبة القدس منذ بناها العرب اليبوسيون قبل أكثر من ستين قرنًا من الزمان!!

التفريط في القدس.. تفريط في الدين

إن حماية بيت المقدس حق للمسلمين لا لليهود، فالمسلمون يؤمنون عن يقين نابع من إسلامهم أن بيت المقدس وما حوله إنما هو أرض مقدَّسة لا يستطيعون التفريط فيها إلاَّ إذا فرطوا في تعاليم دينهم.
ولا يُقبَل إيمان المسلم إلا إذا آمن بكل الأنبياء وأنزلهم جميعًا منزلة كريمة: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ (البقرة:٢٨٥).
وقال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾(البقرة:١٣٦).
وفي القرآن الكريم عشرات الآيات التي تتناول حياة ودعوة كل نبي على حدة، وتثبت له كريم الخُلق، وتنفي عنه كل ما حاول اليهود إلصاقه به، وتحكي للمسلم قصة جهاده في أداء رسالته، وما لاقاه من الأذى، لتوحي إلى المسلم بأن يحذو حذوهم؛ لأن رسالة الأنبياء منذ نوح وحتى محمد- صلى الله عليهم أجمعين- رسالة واحدة، تنبع من مصدر واحد، وتهدف إلى غايات واحدة، ويُكمل بعضها بعضًا.
وانطلاقا من هذا الإيمان الكامل نقف نحن المسلمين حماة لكل التراث والمقدسات الدينية السماوية، وذلك بأمر ديننا الذي مثل آخر حلقة في سلسلة الوحي السماوي والذي حمل أتباعه نتيجة لذلك مسئولية إنسانية عامة: « كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ » (آل عمران:١١٠).
وقال تعالى: « وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ » (الحج:٧٨).
وإن حقيقة هذه المسئولية العامة وقيمتها، لتتضح إذا ما قارناه بالموقف اليهودي من الأنبياء، وهو ذلك الموقف الذي لا يؤهلهم لأي لون من ألوان الحماية أو الهيمنة على أيَّة مقدسات دينية في الأرض.
وقد وصفتهم التوراة والإنجيل والقرآن في مواضع عديدة بأنهم قتلة الأنبياء ومشوِّهوهم، وأولاد الأفاعي والضالون والعميان، والملعونون بكفرهم.
وبيت المقدس مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، زهرة المدائن، هي إحدى أهم المدن التي تدور حولها الصراعات التاريخية والثقافية في العصر الحديث، وتمثل رمزًا للصراع بين الحركة الصهيونية واحتلالها لأراضي فلسطين التاريخية وبين أهل فلسطين الأصليين.

موقع مدينة القدس ومميزاتها

تقع القدس في غرب قارة آسيا بالقرب من البحر المتوسط على إحدى هضاب منطقة جبال الخليل، وتقع تلك الهضبة وسط فلسطين تقريبًا، وتحيط بها العديد من الجبال والأودية مثل جبل المكبر، وجبل المشهد، وجبل الطور أو جبل الزيتون، وجبل المشارف، وأودية سلوان، ووادي الجوز، والمدينة مرتفعة عن سطح البحر بحوالي ٧٥٠ مترًا.

وتتميز المدينة بالعديد من الآثار التاريخية والثقافية، حيث تتميز المدينة بقداستها عند أصحاب الديانات الإبراهيمية الثلاث.

والقدس الشرقية هي جميع الأراضي في الجانب الشرقي من مدينة القدس التي كانت تحت الحكم الأردني منذ عام ١٩٤٨م، بعد انسحاب القوات البريطانية من فلسطين، وحتى الاحتلال الإسرائيلي المدينة في عام ١٩٦٧م، وتقع ضمن أراضيها مدينة القدس القديمة التي تحوي أقدس أماكن الديانات الثلاث: الإسلام والمسيحية واليهودية، مثل المسجد الأقصى، وكنيسة القيامة، وحائط البراق.

والقدس الغربية مصطلح يشير إلى جزء من القدس، بقي تحت الاحتلال والسيطرة الإسرائيلية بعد الحرب العربية الإسرائيلية في عام ١٩٤٨م، حيث بقيت هذه المنطقة محددة، وكانت من قبل تحت حكم السلطة الأردنية.

وقد كان ما يقرب من ٣٣٪ من الأراضي في القدس الغربية قبل فترة الولاية كانت ملكًا للفلسطينيين، الأمر الذي شكَّل صعوبة لإسرائيل عند رغبتها في طرد الفلسطينيين من أجل فرض سيطرتها في الجزء الغربي من القدس!!

وخلال حرب الأيام الستة في يونيو ١٩٦٧م، استولت إسرائيل على الجانب الشرقي من المدينة، وكل الضفة الغربية، وفي عام ١٩٨١م أعلنت إسرائيل ضم القدس الشرقية، ولكن القرار وجد معارضة شديدة من الفلسطينيين والمجتمع الدولي.

المكانة المقدسة لزهرة المدائن، وفضائل المسجد الأقصى

وعن القدس الشريف ومكانتها عند المسلمين، عن زهرة المدائن يقول الله سبحانه وتعالى: «سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ» (الإسراء:١).

والمسجد الأقصى مسجدٌ عظيم مبارك له مكانة عالية في نفوس المؤمنين، ومنزلة رفيعة في قلوبهم، فهو مسجدٌ خُصَّ في الكتاب والسنة بميزات كثيرة، وخصائص عديدة، وفضائل جمَّة، تدل على رفيع مكانته، وعظيم قدره.

فمن فضائله: أنه أحد المساجد الثلاثة المفضلة التي لا يجوز شد الرحال بنية التعبُّد إلا إليها؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تُشَدُّ الرحال إلاَّ إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، ومسجد الأقصى». (متفق عليه).

ومن فضائله: أنه ثاني مسجد وُضع في الأرض، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي مسجد وُضع في الأرض أول، قال: «المسجد الحرام». قلتُ: ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى». قلت: كم كان بينهما؟ قال: «أربعون سنة، ثم أينما أدركك الصلاة بعد فصله، فإن الفضل فيه».. (متفق عليه).

ومن فضائله: أنه قِبْلَةُ المسلمين الأولى قبل نَسْخ القبلة وتحويلها إلى الكعبة، فعن البراء رضي الله عنه: صلينا مع النبي صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا، ثم صرفه نحو القبلة. (متفق عليه).

وأرضه هي أرض المحشر والمنشر، فعن ميمونة أن النبي صلى الله عليه وسلم قالت: قلتُ: يا رسول الله، أفتنا في بيت المقدس؟ قال: «أرض المحشر والمنشر». (رواه ابن ماجه).

ومن فضائله: أنه مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنه عُرج إلى السماء، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون

البغلة، يضع حافره عند منتهى طرفه، فركبت، حتى أتيت بيت المقدس، فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء، ثم دخلت فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل: اخترت الفطرة، ثم عُرج بنا إلى السماء». (رواه مسلم).

ومن فضائله: أن الصلاة فيه تُضاعَف، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صلاة في مسجدي أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلى هو- وليوشكن أن يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض، حيث يُرى منه بيت المقدس، خير له من الدنيا جميعًا». قال: أو قال: «خير له من الدنيا وما فيها». (رواه الحاكم).

وفي هذا عَلَم من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم؛ حيث بيَّن ما سيئول إليه المسجد الأقصى، مع تعلُّق قلوب المسلمين به، وأن مؤامرات الأعداء على المسجد الأقصى ستزداد حتى إن المؤمن ليتمنى أن يكون له موضع صغير يُطل منه على المسجد الأقصى، ويكون ذلك أحب إليه من الدنيا وما فيها.

ومن فضائله: ما ورد في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لما فرغ سليمان بن داود عليهما السلام من بناء بيت المقدس، سأل الله ثلاثًا؛ حكمًا يصادف حكمه، ومُلكًا لا ينبغي لأحد من بعده، وألاَّ يأتي أحد هذا المسجد لا يريد إلاَّ الصلاة فيه، إلاَّ خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه». فقال صلى الله عليه وسلم: «أما اثنتان فقد أعطيهما، وأرجو أن يكون أعطي الثالثة». (رواه النسائي وابن ماجه).

إن المسجد الأقصى كما يظهر من النصوص الإسلامية هو مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أولى القبلتين، وثاني مسجدين وُضعا في الأرض، وهو منزل مبارك تُضاعفُ فيه الحسنات، وتُغفر فيه الذنوب.

وبناء على هذه المكانة، نظر المسلمون إلى بيت المقدس على أنهُ مَزار شريف ومنزل مبارك، وموضع مقدَّس فشدُّوا إليه الرحال، وأحرموا منه للحج والعمرة، وزاروه لذاته؛ بُغْيَةَ الصلاة والثواب، وأحاطوه برعايتهم.

وقد أحرم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه للحج والعمرة من المسجد الأقصى، وقَدِمَ سعد بن أبي وقاص قائد جيش القادسية إلى المسجد الأقصى، فأحرم منه بعمرة، وكذلك فعل الصحابة: عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، ومحمود بن الربيع الأنصاري الخزرجي.

المسجد الأقصى يئنُّ من تسلُّط اليهود عليه:

ويومًا بعد يوم يزداد ألم المسلمين وأسفهم على الحال التي آل إليها المسجد الأقصى من تسلط اليهود المجرمين عليه، وانتهاكهم لحريته، واعتدائهم على قدسيته ومكانته، وارتكابهم فيه ومع أهله أنواعًا كثيرة من التعديات والإجرام.

فيا إلهنا، إليك المشتكى، وأنت حسبنا، يا من يجيب المضطر إذا دعاه، ويجبر الكسير إذا أدناه، ويفرِّج هَمَّ المهموم إذا ذل له ورجاه، إن اليهود والأمريكان ومن عاونهم قد تسلطوا على أرض فلسطين وعلى المسجد الأقصى، وعلى المسلمين في فلسطين قتلاً وتشريدًا، وعلى المسجد الأقصى وعلى بيوتهم هدمًا وتخريبًا، وعلى حرمته وحرمتهم هتكًا وإفسادًا، فكم من بيوت هُدمت! وكم من نساء رُمِّلت! وكم من أطفال يُتِّموا! فاللهم اجعل كيدهم في نحرهم، اللهم عليك باليهود المعتدين، اللهم عليك بالأمريكان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سُورَةُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم

باب التفسير

الحلقة الرابعة

إعداد/ د. عبدالعظيم بدوي

قال الله تعالى: « فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا » (محمد: ٤).

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: فلا يزال الحديث متصلاً عن تفسير سورة محمد، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

يرشد الله تعالى عباده المؤمنين أتباع الحق إلى ما يفعلونه بالكافرين أتباع الباطل في الحرب فيقول: «فإذا لقيتُمُ الَّذين كفَرُوا فَضرْبَ الرِّقابِ»:

الفاءُ لتفريع هذا الكلام على ما قبلهُ من إثارة نفوس المسلمين بتشنيع حال المشركين وظهور خيبة أعمالهم، وتنويه حال المسلمين وتوفيق آرائهم.

والمقصود: تهوين شأنهم في قلوب المسلمين، وإغراؤهم بقطع دابرهم، ليكون الدين كله لله، لأنّ ذلك أعظم من منافع فداء أسراهم بالمال ليعبد المسلمون ربهم آمنين.

واللقاءُ في قوله: «فإذا لقيتُمُ الذين كفرُوا»: المقابلة، وهو إطلاق شهير للقاء الحرب، يقال: يومَ اللقاء، فلا يفهمُ منه إلا لقاءُ الحرب، كما قال تعالى: «إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ» (الأنفال: ٤١)، فليس المعنى: إذا لقيتم الكافرين في الطريق، أو نحو ذلك (التحرير والتنوير (٢٦/٧٨)).

«فضَرْبَ الرِّقاب» أصله: فاضربوا الرقاب ضربًا، فحذف الفعل وقدّم المصدر فأنيب منابه مضافًا إلى المفعول. وفيه اختصار مع إعطاء معنى التوكيد، لأنك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنصبة التي فيه. وضربُ الرِّقاب عبارة عن القتل (الكشاف: ٤/٣١٦)، كما قال سبحانه: «فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ» (الأنفال: ١٢)، والمراد القتل، ولكن التعبير عنه بهذا اللفظ فيه تشجيع للمؤمنين وحث لهم على الثبات، حيث صور تمكنهم من العدو بتمكن الذابح من رقبة المذبوح، فلا يحل لهم والحال هذه أن يخافوهم أو يفروا منهم، بل يجب أن يثبتوا ويشدوا عليهم، ولا تأخذهم بهم رأفة ولا رحمة، حتى يكثروا فيهم القتل والجراح، فتتحطم قواهم، وتنكسر شوكتهم، ويولون مدبرين، فيكونون عبرة لمن خلفهم، فلا يفكرون في لقاء المؤمنين، كما قال تعالى: « فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ » (الأنفال: ٥٧).

وقوله تعالى: «حتَّى إذا أثْخنْتُمُوهُمْ فشُدُّوا الْوَثَاقَ فإمَّا منًّا بعْدُ وإمَّا فداءً حتَّى تضَعَ الْحرْبُ أوْزارَها»:

يقول: حتى إذا غلبتموهم وقهرتم من لم تضربوا رقبته منهم، فصاروا في أيديكم أسرى «فشُدُّوا الْوَثَاقَ»: الوَثاق بالفتح ويجيءُ بالكسر: اسمُ الشيء الذي يُوثق به كالرِّباط. قال الجوهريُّ: وأوثقهُ في الوثاق، أي: شدَّه، وإنما أمر سبحانه بشدّ الوثاق، والمعنى: إذا بالغتم في قتلهم فأسروهم وأحيطوهم بالوثاق لئلا ينفلتوا فيهربوا منكم.

«فإمَّا منًّا بعْدُ وإمَّا فداءً» يقول سبحانه: فإذا أسرتموهم بعد الإثخان، فإمّا أن تمنوا عليهم بعد ذلك بإطلاقكم إياهم من الأسر، وتحرروهم بغير عوض ولا فدية، وإمّا أن يفادوكم فداءً بأن يعطوكم من أنفسهم عوضًا حتى تطلقوهم، وتخلوا لهم السبيل.

وإنما قدمَ المنّ على الفداء لأنه من مكارم الأخلاق، ولهذا كانت العربُ تفتخرُ به، كما قال شاعرهم:

ولا نقتلُ الأسرى ولكن نفكهم
إذا أثقل الأعناق حملُ المغارم

ثُمَّ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ الْغَايَةَ لِذَلِكَ قَالَ: «حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ» أَيْ أَثْقَالَهَا وَأَحْمَالَهَا، يَعْنِي حَتَّى يضع أَهْلُ الْحَرْبِ السِّلَاحَ، فَيُمْسِكُوا عَنِ الحرب. وأصل الوزر ما يحمله الإِنْسَانُ فَسَمَّى الأَسْلِحَةَ أَوْزَارًا لأَنَّهَا تُحْمَلُ، وَأَسْنَدَ الْوَضْعَ إِلَيْهَا وَهُوَ لأَهْلِهَا عَلَى طَرِيقِ الْمَجَازِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْمُسْلِمِينَ مُخَيَّرُونَ بَيْنَ تِلْكَ الأُمُورِ إِلَى غَايَةٍ هِيَ أَنْ يَضَعَ الأَعْدَاءُ الْمُحَارِبُونَ أَوْزَارَهُمْ بِالْهَزِيمَةِ أَوِ الْمُوَادَعَةِ.

والصحيح من أقوال العلماء أَنَّ الآيَةَ مُحْكَمَةٌ، وَالإِمَامُ بِالْخِيَارِ فِي الرجال البالغين مِنَ الْكُفَّارِ إِذَا وَقَعُوا فِي الأَسْرِ بَيْنَ أَنْ يَقْتُلَهُمْ، أَوْ يَسْتَرِقَّهُمْ، أَوْ يَمُنَّ عَلَيْهِمْ فَيُطْلِقَهُمْ بِلَا عِوَضٍ، أَوْ يُفَادِيَهُمْ بِالْمَالِ أَوْ بِأُسَارَى الْمُسْلِمِينَ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ ابْنُ عُمَرَ، وَبِهِ قَالَ الْحَسَنُ وَعَطَاءٌ وَأَكْثَرُ الصَّحَابَةِ وَالْعُلَمَاءِ، وَهُوَ قَوْلُ الثَّوْرِيِّ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمَّا كَثُرَ الْمُسْلِمُونَ وَاشْتَدَّ سُلْطَانُهُمْ أَنْزَلَ اللَّهُ عز وجل فِي الأُسَارَى: «فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً»، فَهَذَا هُوَ الأَصَحُّ وَالاخْتِيَارُ، لأَنَّهُ عَمِلَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَالْخُلَفَاءُ بَعْدَهُ. (انظر: جامع البيان (٢٦/٤٠-٤٢)، معالم التنزيل (١٥٢/٥ و١٥٣)، فتح القدير للشوكاني (٣٧/٥)، التحرير والتنوير (٢٦/٧٨-٨٠)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بن أثال، سيد أهل اليمامة، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فقال: ماذا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟ فَقَالَ: عِنْدِي يا محمد خير. إن تقتلني تقتل ذا دم، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تريد المال فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ ما شئت، فتركه رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَتَّى كَانَ الْغَدُ، فقال له: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فقال: ما عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ: إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، فتركه رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ، فَقَالَ لَهُ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فقال: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، فقال رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ»، فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، يَا مُحَمَّدُ! وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ كلها إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فأصبح دينك أحبَّ الدين كله إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فأصبح بلدك أحبَّ البلاد كلها إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ أَصَبَوْتَ؟ فقال: لا وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَلَا وَاللَّهِ لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. (صحيح البخاري: ٤٣٧٢).

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: أَسَرَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَجُلًا مِنْ بَنِي عَقِيلٍ فَأَوْثَقُوهُ، وَكَانَتْ ثَقِيفُ قَدْ أَسَرَتْ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَفَدَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِالرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ أَسَرَتْهُمَا ثَقِيفُ. (صحيح مسلم ١٦٤١).

وإذا كان ظاهر هذه الآية فيه غلظة وقسوة فقد بيّن الله تعالى العلة فيها فقال: «﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾» (الأنفال: ١٢-١٣).

وتظهر رحمة الإسلام ورأفته وسماحته فيما أمر به المجاهدين من عدم قتل النساء والأطفال، والرهبان، وأهل المزارع، فَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ، فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا». (صحيح مسلم ١٧٣١).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا بَعَثَ جُيُوشَهُ قَالَ: «اخْرُجُوا بِاسْمِ اللَّهِ، تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، لَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَقْتُلُوا الْوِلْدَانَ وَلَا أَصْحَابَ الصَّوَامِعِ». (حسن لغيره: رواه أحمد: ت: الأرنؤوط (٤٦١/٤/ ٢٧٢٨)).

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: وُجِدَتِ امْرَأَةٌ مَقْتُولَةً فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ. (صحيح البخاري ٣٠١٤).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

ضوابط السلوك الاستثماري في الاقتصاد الإسلامي

إعداد د. حسين حسين شحاتة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

في هذا العدد سنتناول أهم ضوابط السلوك الاستثماري في الاقتصاد الإسلامي، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

مفهوم الاستثمار في الاقتصاد الإسلامي:

من سلوكيات المسلم في عالم الاقتصاد، الكسب الحلال الطيب، والإنفاق المقتصد، وادخار الفائض ليوم الفقر والحاجة.

ويقوم المسلم باستثمار هذا الفائض بهدف تنمية ماله من خلال تحقيق العائد عليه، ويعرف علماء الاقتصاد الإسلامي الاستثمار بأنه: «توظيف أو استغلال المال (بكافة صوره) في المشروعات الاقتصادية بهدف الحصول على عائد حلال طيب لتنمية ماله وليعينه في حاجته في المستقبل».

والغاية الاقتصادية من الاستثمار هي زيادة الإنتاج للاستزادة من أرزاق الله، وتنميته لما استخلفه الله عليه من مال، ليعينه على الإشباع المادي والإشباع الروحي، ويعتبر الاستثمار وسيلة من الوسائل المشروعة لتحقيق شرع الله وغايته من خلق الإنسان.

معالم الاستثمار في الاقتصاد الإسلامي:

(١) الالتزام بالقيم الإيمانية والأخلاقية.

(٢) الالتزام بالمشروعية الإسلامية (فقه الاستثمار الإسلامي).

(٣) دافع تأمين الحاجات في المستقبل ولاسيما في حالات الفقر والحاجة.

(٤) دافع تأمين حاجات الذرية بعد الموت لأجل التواصل.

(٥) الوفاء بالمسئولية الاجتماعية والبيئية تجاه المجتمع.

مقومات السلوك الاستثماري في الاقتصاد الإسلامي:

يقوم السلوك الاستثماري على مجموعة من المقومات من أهمها ما يلي:

(١) دراسة فكرة الاستثمار تماماً قبل الإقدام عليها، ويطلق على هذا المقوم في الفكر الاقتصادي المعاصر مصطلح: (دراسة الجدوى الاقتصادية للمشروعات).

(٢) الاطمئنان من السلامة الشرعية لمجال الاستثمار وصيغته، وذلك في ضوء الضوابط الشرعية والتي سوف نتناولها تفصيلاً في الفقرة التالية.

(٣) إبرام عقود الاستثمار الواجبة، وذلك لحفظ الحقوق وتجنب الشك والريبة ولا سيما في حالة المضاربات والبيوع الآجلة وبالتقسيط.

(٤) حسن اختيار الوسائل لتنفيذ الاستثمار وفقاً لشرع الله، ووفقاً للقاعدة الشرعية: «مشروعية الغاية ومشروعية الوسيلة»، والتركيز على المشروعات الاستثمارية التي يحتاجها أفراد المجتمع، وعلى أساس تكنولوجيا تتناسب مع المرحلة التي يمر بها الاقتصاد وتتمشى مع خصائص موارد الإنتاج المتاحة.

(٥) المتابعة المستمرة للاستثمار في ضوء الأهداف والمقاصد المنشودة، وبيان الانحرافات أو المخالفات لعلاجها، والمشكلات لحلها أولاً بأول.

(٦) تقويم الأداء الاستثماري كل فترة، وذلك لاتخاذ القرارات المصوبة له إن تطلب الأمر، وذلك باستخدام المؤشرات المناسبة.

الضوابط الشرعية للاستثمار في الاقتصاد الإسلامي:

يحكم استثمار الأموال في الإسلام مجموعة من الضوابط الشرعية، وهذه الضوابط مستنبطة من مصادر الشريعة الإسلامية، وتتسم بالثبات والواقعية والموضوعية والشمولية والتوازن والتحفيز، كما أنها تقوم على القيم والمثل والأخلاق والسلوكيات الحسنة،



وتحقق التنمية الشاملة للمجتمع.

ومن أهم هذه الضوابط ما يلي:

(١) الاستخلاف: يتعامل المسلم مع المال الذي يستثمره بأنه مستخلف من الله على هذه الأرض، ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً» (البقرة:٣٠)، وقوله تبارك وتعالى: «وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ» (الأنعام: ١٦٥)، ويترتب على هذا الضابط أن يلتزم المسلم بشرع الله المالك لهذا المال، ويعتبر الإنسان وكيلاً عن الله في هذا المال.

(٢) المشروعية: ويقصد بذلك أن يكون مجال الاستثمار مشروعاً لا يتعارض مع نص صريح في القرآن الكريم أو السنة النبوية أو اجتهاد فقهاء المسلمين الثقات الصادر عن مجامع الفقه، كما يجب تجنب الاستثمارات التي تحرمها الشريعة الإسلامية والتي تتضمن الربا والاحتكار والغرر والمقامرة والجهالة وكل ما يؤدي إلى أكل أموال الناس بالباطل.

(٣) الطيبات: ويقصد بذلك بأن توجه الأموال نحو المشروعات التي تنتج أو تتعلق بالطيبات وتساعد في تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية، وهي حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال، ودليل ذلك من القرآن هو قول الله سبحانه وتعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ» (البقرة: ٢٦٧)، وقوله عز وجل كذلك: «وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ» (الأنعام: ١٥٧)، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم في مجال الصدقات: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً» (رواه مسلم).

(٤) الأولويات الإسلامية: يلزم عند ترتيب المشروعات الاستثمارية بعد الإجازة الشرعية وأن يكون مجالها الطيبات، هو الالتزام بسلم الأولويات الإسلامية وهي: الضروريات فالحاجيات فالتحسينات، ولقد ذكر الإمام الشاطبي: «أن الضروريات هي الأشياء والمصالح التي لا تستقيم حياة الناس إلا بها، وإلا اختل نظام حياتهم، والحاجيات هي ما يحتاجه الناس للتوسعة والتيسير ورفع المشقة، أما التحسينات فهي الأشياء والأمور التي تسهل الحياة وتحسنها»

وتأسيساً على ما سبق يجب على من يتخذ القرار الاستثماري أن يلتزم بالأولويات السابقة فلا ينظر في حاجة إلا بعد الوفاء بالضرورة، ولا ينظر في مشروع تحسيني إلا بعد الوفاء بالضروريات والحاجيات، مع الأخذ في الاعتبار الضوابط الأخرى.

(٥) المحافظة على الأموال: يقوم الاستثمار الإسلامي على التقليب والمخاطرة، ويجب أن يكون هناك توازناً بين نسبة المخاطر والأغراض الاستثمارية الأخرى ومنها الربحية، فلا يجب الدخول في مخاطرة غير مجدية والتي تؤدي إلى هلاك المال.

ومن ناحية أخرى يجب اتخاذ التدابير المختلفة للمحافظة على المال من السرقة والابتزاز وأكله بالباطل، ولقد أشار القرآن إلى ذلك بقول الله عز وجل: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ» (النساء: ٢٩)، ولقد ورد في تفسير هذه الآية أن من أساليب أكل المال بالباطل هي الغش والرشوة والقمار واحتكار الضروريات لرفع سعرها والبيوع المحرمة، كما قال الله تبارك وتعالى: «وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ» (البقرة:١٨٨)، وتشير هذه الآية إلى ابتزاز الأموال بدون حق عن طريق الرشوة.

(٦) تنمية المال: ويقصد بذلك اختيار المشروعات الاستثمارية التي تحقق عائداً اقتصادياً مجزياً بجانب العوائد الاجتماعية، وعدم اكتناز المال وحبسه عن وظيفته التي خلقها الله له، وفي هذا الصدد ينهانا الله عن الاكتناز ويحثنا على استثمار المال، فيقول عز وجل: «وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) إلى آخر الآية (التوبة: ٣٤).

(٧) تقليل المخاطر: ويقصد بذلك توجيه الأموال المتاحة للاستثمارات إلى

عدة مشروعات مع الأخذ في الاعتبار التنوع الزمني والتنوع في صيغ الاستثمار لتقليل المخاطر، وتحقيق التنمية الشاملة للمجتمع الإسلامي.

(٨) التوازن لتحقيق الاستقرار: ويقصد به التوازن عند توجيه الاستثمارات بين العائد الاجتماعي والعائد الاقتصادي، وبين الاستثمارات قصيرة الأجل والمتوسطة والطويلة، وبين مصالح الأجيال الحاضرة والأجيال المقبلة، وكذلك التوازن بين صيغ الاستثمار ومجالاته.

وهذا الضابط يساهم في تحقيق هدف المحافظة على المال وتنميته ويقلل من التقلبات في العوائد ويخفض من المخاطر.

(٩) ربط الكسب بالجهد: يقوم الاستثمار الإسلامي على أساس المشاركة والتفاعل بين العمل (الجهد البشري) وبين رأس المال، ولكل نصيب من الكسب بمقدار الجهد المبذول، فلا كسب بلا جهد، ولا جهد بلا كسب، والغاية من هذا هو التحفيز على العمل والعطاء وتطوير الأداء وتحسينه.

وهناك علاقة سببية مباشرة بين مقدار الكسب وما يتعرض له الاستثمار من مخاطر، فكلما زادت المخاطر كلما طلب أصحاب المشروعات ربحية عالية، وفي هذا الصدد يقول الإمام القرطبي: « إن التجارة هي الشراء والبيع وهي نوعان: تقليب في الحضر من غير نقله ولا سفر وهذا تربص واحتكار قد رغب فيه أولوا الأقدار وزهد عنه ذوو الأخطار، والثاني تقليب المال بالأسفار ونقله إلى الأمصار، وهذا أليق بأهل المروءة وأعم جدوى وأكثر منفعة، غير أنه أكثر خطرًا وأعظم غررًا ».

(١٠) توزيع عوائد الاستثمارات في حالة المشاركات على أساس الغُنْم بالغُرْم: حيث يتم توزيع عوائد الاستثمارات بين أطراف العملية الاستثمارية على أساس بقدر ما يغنم صاحب العمل من أرباح ومزايا في حالات الرواج واليسر بقدر ما يجب أن يتحمل من خسائر في حالات الكساد والعسر، فلا ربح حلال إلا إذا تحمل مخاطر الخسارة، وهذا يخالف النظام الربوي الذي يضمن رأس المال وفائدته على الدوام بصرف النظر عن نتيجة التشغيل، وهذا محرم، ودليل ذلك من الكتاب قول الله تبارك وتعالى: « وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ » (البقرة: ٢٧٥).

(١١) المعلوماتية والتوثيق: ويقصد بذلك أن يعلم كل طرف من أطراف العملية الاستثمارية مقدار ما يساهم به من مال وعمل، ومقدار ما يأخذه من عائد أو كسب، ومقدار ما يتحمل به من خسارة إذا حدثت، وأن يكتب ذلك في عقود موثقة حتى لا يحدث جهالة وغررا.. ويؤدي ذلك إلى شك وريبة ونزاع ... ولقد تناول القرآن الكريم هذه المسألة في آية الكتابة فيقول الله عز وجل: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ » (البقرة: ٢٨٢)، وفى عقد المرابحة على سبيل المثال يلزم أن يحدد في عقد الاتفاق على ربح المرابحة، وفى عقد الإجارة يلزم تحديد مقدار الإيجار وفى عقد المضاربة يلزم تحديد حصة كل منهما، الشائعة في الربح وهكذا.

تعقيب

يكون من عاقبة الالتزام بالضوابط الشرعية للاستثمار في الاقتصاد الإسلامي ما يلي:

- المحافظة على الاستثمار وتنميته بالحق.
- تقليل المخاطر التي يتعرض لها المال.
- تأمين حقوق الأجيال القادمة في أموال الأجيال الحالية.
- التطور والنماء على مستوى الفرد والوحدة والمجتمع.
- تحقيق البركة وتجنب المحق بسبب البعد عن الاستثمار الربوي.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

الحلقة الأولى

اجتماع السقيفة وبيعة أبي بكر رضي الله عنه



إعداد: عبدالرزاق السيد عيد

الحمد لله الذي خلق الموت والحياة ليبتلينا بالشر والخير فتنة وإليه نعود، سبحانه هو الحي الذي لا يموت والخلق جميعًا يموتون، وصلاة وسلامًا على خاتم النبيين وإمام المرسلين ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد. أما بعدُ:

فمن الأحداث المهمة في تاريخ الأمة يوم السَّقيفة وما تمخض عنه، ولن أطيل معك أخي القارئ في مقدمات، وسأدخل معك في الموضوع مباشرة من خلال هذه النقاط:

- ما المقصود بالسقيفة؟
- تاريخ يوم السقيفة وأهميته.
- بيعة أبي بكر رضي الله عنه.

أولاً: المقصود بالسقيفة:

مكان مسقوف يتسع لعدد كبير من المجتمعين، وأمامها باحة رحبة واسعة، وتقع هذه السقيفة في الجهة الشمالية الغربية من المسجد النبوي بين مساكن قبيلة بني ساعدة الخزرجية، ولذلك سميت سقيفة بني ساعدة، وقد تغيرت أشكال بنائها بمرور الأيام وتغيرت الأحوال، ولعهد قريب رأينا آثاراً منها قرب المسجد النبوي؛ لكنها الآن قد دخلت في توسعات المسجد النبوي المبارك.

ثانيًا: تاريخ يوم السقيفة وأهميته:

ما يعرف في التاريخ بيوم السقيفة أو اجتماع يوم السقيفة يكتسب أهميته من التوقيت الذي وقع فيه ومن النتائج التي ترتبت عليه، فقد وقع هذا الاجتماع في يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول في سنة إحدى عشرة للهجرة، وهو اليوم الذي لحق فيه النبي صلى الله عليه وسلم بالملأ الأعلى واختار جوار ربه سبحانه وتعالى.

وقد فارق الدنيا وما يملك من حُطامها درهمًا ولا دينارًا إلا بلغته البيضاء وسلاحه وأرضًا جعلها صدقة، وكان هذا اليوم أشد الأيام سوادًا ووحشة ومصابًا على المسلمين، وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لم يترك شيئًا من حطام الدنيا يملكه لنفسه، لكن ترك لأمته وللدنيا بأسرها ميراثًا عظيمًا من الخير.

نعم ترك لهم ميراث الهدى والرشاد إن تمسكوا به لن يضلوا بعده أبدًا، ترك لهم كتاب الله وسنته صلى الله عليه وسلم.

لقد أحدث موتُ النبي صلى الله عليه وسلم زلزالاً شديدًا في المدينة النبوية وبين الأمة بأسرها، يقول أنس رضي الله عنه: «كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم

المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان الذي مات فيه أظلم منها كل شيء». (رواه الترمذي).

قال ابن رجب رحمه الله في اللطائف: «ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم اضطرب المسلمون، فمنهم من دهُش فخُولط، ومنهم من أُقعِدَ فلم يُطِقْ القيام، ومنهم من اعتقل لسانه فلم يُطِقْ الكلام، ومنهم من أنكر موت النبي صلى الله عليه وسلم بالكلية مثل عمر».

قال القاضي أبو بكر بن العربي في العواصم: «كان موت النبي صلى الله عليه وسلم قاصمة الظهور ومصيبة العمر، قال أنس رضي الله عنه: ما نفضنا أيدينا من تراب قبر النبي حتى أنكرنا قلوبنا».

وروى الإمام البخاري في صحيحه أن أبا بكر رضي الله عنه كان في بيته بالسنح ولم يكلم أحدًا حتى دخل على عائشة فاتجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغطى بثوب حبرة (ثوب من القطن أو الكتان كان يصنع في اليمن).

فكشف أبو بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم أكب عليه فقبله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي، والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي عليك فقد متها.

وخرج أبو بكر إلى المسجد وعمر يتكلم، فقال: اجلس يا عمر، وهو ماض في كلامه وثورة غضبه (منكرًا موت النبي صلى الله عليه وسلم)، فقام أبو بكر في الناس خطيبًا، وبعد أن حمد الله وأثنى عليه، قال: «أما بعد: فمن كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت»، ثم قرأ الآية: « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ» (آل عمران: ١٤٤)، قال عمر: فوالله ما سمعت أبا بكر تلاها فهويت على الأرض ما تحملني قدماي وعلمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات. (البخاري: كتاب المغازي).

ورحم الله الإمام ابن العربي حين قال في كتابه «العواصم من القواصم»: «لقد كان موت الرسول صلى الله عليه قاصمة، وكانت العاصمة في ولاية أبي بكر رضي الله عنه حقًّا قد أكرم الله الأمة بولاية أبي بكر الذي ظهرت شخصيته كقائد للأمة لا يظهر له مثيل، لقد أشرق اليقين في قلبه وتجلى ذلك في رسوخ الحقائق فيه، حقيقة التوحيد والعبودية والنبوة والموت فأخرج الله الناس به من ظلمات الحيرة والشك والاضطراب إلى نور التوحيد والسكينة والأمن، والحمد لله رب العالمين، يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا.

ثالثًا: اجتماع السقيفة وبيعة الصديق:

١- ذكر خبر البيعة مجملاً:

نقل الإمام السيوطي عن الواقدي من طريق عائشة رضي الله عنها وابن عمر وسعيد بن المسيب وغيرهم (أن أبا بكر بويع يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة. (تاريخ الخلفاء).

٢- تفاصيل البيعة:

أما تفاصيل البيعة وما حدث في اجتماع السقيفة من حوار بين المهاجرين والأنصار وكيف تمت البيعة والاختيار هذا قد جاء مفصلاً في كتب الحديث والأخبار، ننقل ما يفي بالغرض- إن شاء الله- مع توخي الإيجاز والدقة في الاختيار.

روى البخاري ومسلم أن الأنصار اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لاختيار سعد بن عبادة زعيم الخزرج خليفة للمسلمين، ولما علم المهاجرون بذلك قال عمر رضي الله عنه لأبي بكر: انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار، قال: فانطلقنا نؤمهم حتى جئناهم في سقيفة بني ساعدة فإذا هم مجتمعون، وإذا بين ظهرانيهم رجل مُزمل، فقلت: من هذا؟ قالوا: سعد بن عُبادة، فقلت: ما له؟ قالوا: يوعك. قال: فلما جلسنا قام خطيبهم وقال: أما بعد، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا، وقد دفت دافة منكم تريدون أن تختزلونا من أصلنا وتغصبونها من الأمر، فلما سكت أردت أن أتكلم وقد كنت أعددت مقالة أعجبتني، أردت أن أقولها بين يدي

أبي بكر، وقد كنت أداري منه بعض الحدّة وهو وكان أحلم مني وأوقر، فقال أبو بكر: على رسلك! فكرهت أن أغضبه، وكان أعلم مني، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بداهته مثلها وأفضل منها حتى سكت. فقال: أما بعد، فما ذكرتم فيكم من خير فأنتم أهله، ولم تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسبًا ودارًا، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم، فأخذ بيدي ويد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا فلم أكره مما قال غيرها، وكان والله أن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك من إثم أحب إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر، فقال قائل من الأنصار: أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش، وكثر اللغط، وارتفعت الأصوات، حتى خشيت الاختلاف، فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون، ثم بايعه الأنصار. اهـ.

وجاء عند أحمد في المسند عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف قال: «لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، فأتاهم عمر فقال: ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أبا بكر فأم الناس، فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر ؟ فقالوا: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر، رضي الله عنه». صححه العلامة أحمد شاكر رحمه الله.

وأخرج موسى بن عقبة في مغازيه والحاكم وصححه عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: خطب أبو بكر، فقال: والله ما كنت حريصًا على الإمارة يومًا ولا ليلة قط ولا كنت راغبًا فيها ولا سألتها الله في سر ولا علانية ولكني أشفقت من الفتنة وما لي في الإمارة من راحة ولقد قُلِّدت أمرًا عظيمًا ما لي به طاقة ولا يد إلا بتقوية الله، فقال علي والزبير: ما غضبنا إلا لأنا أخرنا عن المشورة، وإنا نرى أبا بكر أحق الناس بها، إنه لصاحب الغار وإنا لنعرف شرفه وخيره، وقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة بالناس وهو حي. قال ابن كثير في البداية والنهاية: إسناده جيد.

من خلال ما ذكرناه من نصوص ذكرت لنا ما حدث يوم السقيفة نلاحظ ما يلي:

١- سمو هذا الرعيل الأول من هذه الأمة وارتفاع مكانتهم ومنزلتهم.

٢- هؤلاء الرجال الكبار لم يكونوا منقادين بالهوى ولا بالعصبية ولا حب الرياسة والزعامة، بل كانوا منقادين للوحي وقد اجتهدوا آراءهم لكن عندما يتجلى لهم الخبر الصادق من الكتاب أو السنة يتبعوه ويتركوا آراءهم جانبًا، وهذا ما حدث من الأنصار ومن زعيمهم سعد بن عبادة رضي الله عنه حين ذكره أبو بكر بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تذكر ولم يجاوزه.

٣- كان هدف الجميع درء الفتنة والحفاظ على وحدة الأمة، وهذا الذي جعلهم يعجلون بالأمر قبل دفن النبي وليس الحرص على الإمارة كما يدعي الأفاكون.

٤- أجمع المهاجرون والأنصار على خلافة أبي بكر ولا يقول غير ذلك إلا مريض القلب سقيم الفكر حاقد وحسود، نعوذ بالله من شرهم.

٥- الاجتماع لم يدم طويلاً ولم تجر فيه مناقشات طويلة بين المهاجرين والأنصار أو تنافس أو صراع على الخلافة لأن النفوس كانت طاهرة.

٦- أين هذا مما يحدث اليوم بين المتصارعين على الحكم من سباب وشتائم ومؤامرات وتشابك بالألسنة والأيدي وإراقة الدماء من أجل الكرسي.

إن البشرية بأسرها اليوم تحتاج أن تتعلم من اجتماع السقيفة سمو القصد وعفة الألسنة والأيدي وطهارة القلوب ألا يا من تتهمون الإسلام بالتخلف والعنف والرجعية هلموا لتفعلوا الحضارة الحقيقية القائمة على إصلاح الظاهر والباطن والعمل للدنيا والآخرة، اللهم توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين، وإلى لقاء نستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه.

عذرًا رسول الله

إعداد د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فبتوالي الأحداث التي تجعل الحليم حيران، وبعدما كتبتُ مقالاً جديدًا لباب السنة يناسب الحدث الأليم بمسجد الروضة بعد الذي قد كتبتُ قبل الحدث، فقد تتابع علينا حدث آخر يتوقف أمامه القلب والعقل معًا، ففي الحدث الأول نجد أفعالاً من غير البشر يعتدون على أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المصلين، وفي الحدث الثاني قد تنامى إلى أسماعنا والمجلة ماثلة للطبع فلم أتمكن من المشاركة فيه إلا بعبارة مختصرة وفيها: أنَّ قومًا بهتًا يفعلون كأسلافهم من قبل يتعدون على أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى مقدساتهم في القدس الشريف، ثم نجد أهل البهتان بعد هذا الظلم الدائم لأتباع النبي العدنان أولا وآخرًا نجد أن المتهم هو الإسلام، فلم أجد بعد ذلك كله اعتذارًا عن نفسي وأمتي إلا أن أقول: عذرًا رسول الله.

الحديث:

أخرج الإمامان البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحُرَقة من جهينة، فصبَّحنا القوم، فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، فكفَّ عنه الأنصاري، وطعنته برمحي حتى قتلته، قال: فلما قدمنا، بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لي: «يا أسامة، أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله؟!» قال: قلت: يا رسول الله، إنما كان متعوذًا، قال: فقال: «أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟!» قال: فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم.

وفي رواية لمسلم: قلت: يا رسول الله، إنما قالها خوفًا من السلاح، قال: «أفلا شققتَ عن قلبه حتى تعلم: أقالها أم لا».

وفي رواية له أيضًا: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟!» قال: يا رسول الله، استغفر لي، قال: «وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟!» قال: فجعل لا يزيده على أن يقول: «كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟!».

أولاً: تخريج الحديث:

١- أخرجه الإمام مسلم حديث (٩٦) في كتاب الإيمان باب تحريم قتل الكافرإذا قال لا إله إلا الله.

٢- وأخرجه الإمام البخاري رحمه الله في «كتاب المغازي»، «باب بعث النبي أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة» حديث (٤٠٢١).

٣- وأخرجه أبو داود في «كتاب الجهاد»، «باب على ما يقاتل المشركون» حديث (٢٦٤٣).

٤- وانفرد مسلم رحمه الله برواية «فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟!» حديث (٩٧)

ثانيًا: من ألفاظ الحديث:

(الحرقة من جهينة): الحرقة بضم الحاء وفتح الراء والقاف، ويقال: الحرقات كما في الرواية الأخرى، وهم بطن من جهينة، سموا بذلك لواقعة كانت بينهم وبين بني مرة بن عوف، فأحرقوا بني

مرة بالسهام، وأكثروا من قتلهم، ومكان إقامتهم عن المدينة النبوية (١٥٢) كيلو تقريبًا.

وجهينة: اسم لقبيلة من قضاعة، قبيلة حجازية كبيرة واسعة الانتشار في زمانها، أشهر بلادهم ينبع. (انظر: معجم البلدان (١٩٤/٢)».

ثالثًا الشرح:

هذا حديث شريف في باب إجراء أحكام الناس على الظاهر كما أورده الإمام النووي رحمه الله في كتابه رياض الصالحين في واقعة حصلت لأصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم- حيث قد بعثهم النبي صلى الله عليه وسلم في بعث إلى الحرقة من جهينة وفيهم أسامة بن زيد رضي الله عنهما فقتل أسامة-رضي الله تعالى عنه- رجلاً بعدما قال: لا إله إلا الله.

قال: إلى الحرقة من جهينة، فصبحنا القوم على مياههم، يعني: أتيناهم في وقت الصباح، قال: ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، فكف عنه الأنصاري، وطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا المدينة بلغ ذلك النبي- صلى الله عليه وسلم-، في بعض الروايات أنه طعنه بالرمح، ثم بعد ذلك تتابعوا على ضربه حتى مات، فلما لقي النبي- صلى الله عليه وسلم- كان البشير قد سبقه بالخبر، فذكر ذلك للنبي-عليه الصلاة والسلام-، يقول: فقال لي: «يا أسامة أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟»، وهذا استفهام إنكار، ينكر عليه النبي- صلى الله عليه وسلم-، قلت: يا رسول الله إنما قالها متعوذاً، يعني: متعوذاً بهذه الكلمة فراراً من القتل، فقال: «أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟»، فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم.(انظر: فتح المنعم (٣٢١/١)

رابعًا: من فوائد الحديث:

أولاً: إجراء أحكام الدنيا على الظاهر والله يتولى السرائر:

كما أفاده الإمام النووي من عنوان بابه على الحديث في رياض الصالحين، وفيه ردٌ على من يتجرأ على تكفير الموحدين بغير ناقض شرعي وبأصول واهية ما أنزل الله بها من سلطان، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لأسامة: «أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم: أقالها أم لا» فلا يطلع على ما في بواطن الناس إلا الله عز وجل، وعليه يقال: (في الدنيا يؤخذ بالظواهر، ولا يؤخذ بالبواطن، وأما في الآخرة فيؤخذ بالبواطن ولا يؤخذ بالظواهر)؛ كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾ (الطارق: ٩).

ثانيًا: عذر المتأول ممن هو أهل لذلك:

إذ لم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالقصاص من أسامة؛ لأنه قتل الرجل الذي أسلم بنطقه لكلمة التوحيد، وظاهر الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم حكم بإسلامه؛ إذ كان رضي الله عنه متأولاً؛ فقتله حينئذ يكون قتل خطأ وشبهة؛ لأنه ظن أن هذا الرجل يعتبر كافرًا حتى لو أظهر كلمة التوحيد؛ لاحتمال أنه أظهرها خوفًا، وأنه لا يكون مسلمًا بهذا، فقتله بناءً على هذا الاعتقاد.

وكذلك لم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم أسامة بالدية والكفارة للمقتول ما دام قتله كان خطأً وشبهة، لأنه كان مأذونًا له في الأصل بقتل هذا الرجل، فلا يضمن ما أتلف من نفس ولا مال، وقيل: إن تلك الواقعة من أسامة كانت قبل نزول آية الدية والكفارة. (ينظر: شرح النووي لمسلم حديث (٩٥، ٩٦)، وانظر المفهم (٢٩٤/١، ٢٩٨)، وانظر الفتح «كتاب الديات»، «باب قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾ (النساء: ٩٣)» حديث (٦٤٧٢)، وانظر فتح المنعم (٣١٧/١، ٣٢٤).

ثالثًا: حرمة الدماء:

أما عن حرمة الدماء فلو حرر مسلم فيها لما وفَّى حق البلاغ؛ إذ قد رأينا لوم النبي صلى الله عليه وسلم لأسامة رضي الله عنه، ومن ذلك كذلك ما قاله الله سبحانه: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة: ٣٢)؛ قال الإمام ابن حجر الهيتمي رحمه الله في (الزواجر جـ٢ صـ١٩٤): «جعل قتل النفس الواحدة كقتل جميع الناس؛ مبالغةً في تعظيم أمر القتل الظلم

وتفخيمًا لشأنه».

ومنه أن شدد الله تعالى على من تعدى على حرمات الناس ولو بإرهابهم فضلاً عن قتلهم إذ قال تعالى: (إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (المائدة: ٣٣)، وهو مستند العلماء في حد الحرابة أحد حدود الإسلام الستة.

ومنه أن شرع الله القصاص كما قال تعالى: (وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة: ١٧٩)؛ قال أبو العالية: جعل الله القصاص حياةً؛ فكم من رجل يريد أن يَقتل فتمنعه مخافة أن يُقتل؛ (تفسير ابن كثير جـ٢ صـ١٦٦).

ومن السنة ما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اجتنبوا السبع الموبقات (هي المهلكات)»، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات» (البخاري: ٢٧٦٦، مسلم حديث:٨٩).

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لن يزال المؤمن في فسحة من دينه (مطمئن النفس في سعة من رحمة الله)، ما لم يصب دمًا حرامًا (طالما أنه لم يقتل نفسًا بغير حق»؛ (البخاري حديث: ٦٨٦٢).

والترويع حرام: فليست الدماء فقط بل وحذر رسول الإنسانية من مجرد الترويع كما أسلفنا في آية الحرابة وما كان من السنة النبوية؛ فعن عبد الرحمن ابن أبي ليلى، قال: حدثنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، أنهم كانوا يسيرون مع النبي صلى الله عليه وسلم، فنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه، ففزع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يحل لمسلم أن يروِّع مسلمًا»؛ (صحيح أبي داود، للألباني حديث:٤١٨٤).

وعن أبي هريرة، يقول: قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: «من أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه، حتى يدعه وإن كان أخاه لأبيه وأمه»؛ (مسلم حديث: ٢٦١٦).

قال الإمام النووي رحمه الله: «هذا الحديث فيه تأكيد حرمة المسلم، والنهي الشديد عن ترويعه وتخويفه والتعرض له بما قد يؤذيه. وقوله صلى الله عليه وسلم: «وإن كان أخاه لأبيه وأمه»؛ مبالغة في إيضاح عموم النهي في كل أحد سواء من يتهم فيه، ومن لا يتهم، وسواء كان هذا هزلاً ولعبًا، أم لا؛ لأن ترويع المسلم حرام بكل حال، ولأنه قد يسبقه السلاح؛ (مسلم بشرح النووي ٨صـ٤١٧).

دماء غير المسلمين حرام:

هذا وليست الحرمة قاصرة على دماء المسلمين فحسب، بل الدماء المعصومة أربعة؛ المسلم، والذمي، والمعاهد، والمستأمن، قال صلى الله عليه وسلم كما رواه عنه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «من قتل معاهدًا لم يرح (أي لم يشم) رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عامًا» (البخاري حديث ٣١٦٦)

قال الإمام ابن حجر العسقلاني: «قوله صلى الله عليه وسلم: «من قتل معاهدًا»، المراد بالمعاهد: هو من له عهدٌ مع المسلمين سواءٌ كان بعقد جزية، أو هدنة من سلطان، أو أمان من مسلم» (فتح الباري، لابن حجر العسقلاني جـ١٢ صـ٢٧١).

وكذلك لم تكن معاهدة عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع نصارى بيت المقدس عنا ببعيدة؛ وكان مما كتبه فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم؛ هذا ما أعطى عبدالله عمر، أمير المؤمنين، أهل إيلياء (بيت المقدس) من الأمان، أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم». (تاريخ ابن جرير الطبري جـ ٢صـ ٤٤٩)

وما كان من مثلها من معاهدة عمرو بن العاص مع أهل مصر (ينظر: المرجع السابق جـ٢صـ:٥١٤)

أفبعد ذلك يظلم رسول الله فيتهم أتباعه؟! عذرًا رسول الله.

وفي هذا القدر كفاية.

والحمد لله رب العالمين.

فقر المشاعر

فقر المشاعر بين الجيران

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد تحدثنا في المقال السابق عن منزلة الجار في الإسلام، وقلنا: إن الوصاية بالجار تشمل كف الشر عنه، وإسداء الخير إليه، وتحدثنا عمن فرط في حق الجار، وذكرنا مظاهر عديدة منها: مضايقة الجار، واحتقاره والسخرية منه، وإيذاؤه بالجلَبة، وقلة المشاركة العاطفية للجيران، ونكمل ما بدأناه فنقول:

الحلقة الثانية

إعداد/ د. محمد إبراهيم الحمد

٥- قلة التهادي بين الجيران: فالجيران يحصل بينهم- بحكم القرب- ما يحصل من الهفوات والزلات، وما شاكل ذلك، فيحتاجون إلى ما يقوي أواصر العلاقة فيما بينهم، وإلى ما يذيب أسباب الفرقة والعداوة، والظنون السيئة.

ومع عظم شأن الهدية، ومع حاجة الجيران إليها أن من الناس من لا يأبه بها، فربما مرت الأعوام تلو الأعوام، وربما حدثت مشكلات بين الجيران، ومع ذلك لا يبادر أحد منهم بالهدية، بل ربما مرت الأعمار دون تهادٍ بين الجيران.

ومن هنا تضعف حبال المودة، وتتصرم عرى المحبة بين الجيران، فيحسن بالجيران أن يتهادوا فيما بينهم، وأن يتعاهدوا بالهدية الأقرب بالأقرب، جاء في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، إني لي جارين، فإلى أيهما أهدي؟ قال: «إلى أقربهما منك بابًا». (البخاري: ٢٢٥٩).

قال ابن حجر رحمه الله: «وقوله: «أقربهما» أي أشدهما قربًا.

قيل: الحكمة فيه أن الأقرب يرى ما يدخل بيت جاره من هدية وغيرها، فيتشوف لها؛ بخلاف الأبعد، وأن الأقرب أسرع إجابة لما يقع لجاره من المهمات، ولا سيما في أوقات الغفلة.

٦- التكبر عن قبول هدية الجار: فمن الناس من يتكبر عن قبول الهدية من جاره، وذلك إذا كانت يسيرة قليلة، أو كانت من جار فقير أو وضيع.

وهذا من الكبر المذموم، ومما يورث البغضاء والشحناء، وجرح شعور الجار.

فاللائق بالجار أن يقبل هدية جاره ولو قلّت، فالهدية لا تقدر بقيمتها، وإنما تقدر بمعناها.

وإذا قبلت الهدية من الجار أفرحته، وأشعرته بتواضعك ومحبتك له. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا نساء المؤمنات، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة». (صحيح مسلم بشرح النووي ٩٨/٧، ٩٩).

الفِرْسِن بكسر الفاء، وسكون الراء، وكسر السين ثم نون: هو العظم قليل اللحم، وهو خف البعير أيضًا، وقد يستعار للشاة. قال النووي رحمه الله في هذا الحديث: «ومعناه: لا تمنع جارة من الصدقة والهدية لجارتها؛ لاستقلالها واحتقارها الموجود عندها، بل تجود بما تيسر وإن كان قليلاً كفرسن شاة، وهو خير من العدم، وقد قال الله تعالى: «فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ» (الزلزلة:٧). (صحيح مسلم بشرح النووي ٩٩/٧).

وبالجملة فالحديث يُستفاد منه فائدتان:

إحداهما: ألا تحقر المرأة شيئًا تهديه لجارتها ولو قل.

والأخرى: ألا تحتقر المرأة المُهدَى إليها شيئًا ولو كان قليلاً أو حقيرًا.

وإنما خص النساء بالنهي لأمور منها:

أ- أن النساء يكثر منهن الاحتقار للمُهدى، أو المهدي.

ب- ولأن النساء أكثر اتصالاً بالجيران من الرجال؛ بحكم المكث والقرار.

جـ- ولأن النساء موارد المودة والبغضاء، والله أعلم. (انظر: فتح الباري ٤٥٩/١٠).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وللحديث بقية إن شاء الله

درر البحار في بيان ضعيف الأحاديث القصار

القسم الثاني

إعداد/ علي حشيش

الحلقة (٦٤)

٥٩٤- « لَوْ مُنِعَ النَّاسُ عَنْ فَتِّ الْبَعْرِ، لَفَتُّوهُ، وَقَالُوا: مَا نُهِينَا عَنْهُ إِلَّا وَفِيهِ شَيْءٌ ».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٥٧/١) مرفوعًا بصيغة الجزم، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «هذا الحديث لم أجده». اهـ.

٥٩٥- « عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ، فَإِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا أَحْسَنُهُمْ دِينًا ».

الحديث: لا يصح، أخرجه الحافظ الطبراني في «المعجم الكبير» (١٤٤/٢) (ح٢٩٥) عن معاذ بن جبل قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن، فقلت: يا رسول الله، أوصني، فقال: «عليك بحسن الخُلق..» الحديث، وعلته عبد الغفار بن القاسم ،أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٥١٤٧/٩٤/٢)، وقال: «عبد الغفار بن القاسم أبو مريم الأنصاري» رافضي، ليس بثقة، قال علي بن المديني: كان يضع الحديث. ويقال: كان من رؤوس الشيعة». اهـ. وأورده الهيثمي في «المجمع» (٢٥/٨) وقال: «رواه الطبراني وفيه عبد الغفار بن القاسم وهو وضاع». اهـ

٥٩٦- « إِنَّ مِنْ أَقَلِّ مَا أُوتِيتُمُ الْيَقِينَ وَعَزِيمَةَ الصَّبْرِ، وَمَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْهُمَا لَمْ يُبَالِ مَا فَاتَهُ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ وَصِيَامِ النَّهَارِ ».

الحديث: لا يصح، أورده الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٧٢/١) مرفوعًا بصيغة الجزم، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «هذا الحديث لم أقف له على أصل». اهـ.

٥٩٧- «ما من ولد بارٍّ ينظر إلى والديه نظرة رحمة إلا كتَب الله له بكل نظرةٍ حجةً مبرورةً. قالوا: وإن نظر كلَّ يوم مائة مرة؟ قال: نعم، اللَّهُ أكثرُ وأطيبُ».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو بكر الإسماعيلي في «معجم شيوخه» (٣٢٠/١) من حديث ابن عباس مرفوعًا، وعلته محمد بن حميد، وهو الرازي، روى عن زافر بن سليمان. كذا في «تهذيب الكمال» (٥٧٥٤/٢٢١/١٦) للحافظ المزي، ونقل عن إسحاق بن منصور أنه قال: «أشهد على محمد بن حميد بين يدي الله أنه كذاب»، ونقل عن صالح بن محمد الأسدي الحافظ: «ما رأيت أحدًا أحذق بالكذب من ابن حميد ومن ابن الشاذكوني». وأقرَّ هذا الحافظ الذهبي في الميزان (٧٤٥٣/٥٣٠/٣)، ونقل أيضًا عن ابن فراش أنه قال: «حدثنا ابن حميد وكان والله يكذب». اهـ. ونقل عن الكوسج أنه قال: «أشهد أنه كذاب». اهـ. وعن البخاري قال: «فيه نظر، ثم قال: وكذّبه أبو زرعة». اهـ.

وعلة أخرى: زافر بن سليمان قال الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢١١/١): «كثير الغلط في الأخبار، واسع الوهم في الآثار». اهـ.

٥٩٨- "إنكم في زمان أُلْهِمْتُمْ فيه العمل، وسيأتي قومٌ يُلْهَمُونَ الجدل".

الحديث: لا يصح، أورده الغزالي في «الإحياء» (٤٢/١)، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجده». اهـ.

٥٩٩- "مَنْ أَرَادَ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ عِلْمًا بِغَيْرِ تَعَلُّم، وَهُدًى بِغَيْرِ هِدَايَةٍ فَلْيَزْهَدْ فِي الدُّنْيَا".

الحديث: لا يصح، أورده الغزالي في «الإحياء» (٢١٩/٤) مرفوعًا بصيغة الجزم، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «هذا الحديث لم أجد له أصلاً». اهـ.

٦٠٠- "تَوَاضَعُوا وَجَالِسُوا الْمَسَاكِينَ تَكُونُوا مِنْ كُبَرَاءِ اللَّهِ، وَتَخْرُجُونَ مِنَ الْكِبْرِ".

الحديث: لا يصح، أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٩٧/٨) من حديث خالد بن يزيد العمري عن عبد العزيز بن أبي رواد، عن نافع عن ابن عمر مرفوعًا، ثم قال: «الحديث غريب من حديث نافع وعبد العزيز، لا أعلم رواه عنه غير خالد بن يزيد العمري». اهـ.

وآفته خالد بن يزيد العمري، قال الحافظ ابن حبان في «الجرح والتعديل» (٣٦٠/٢/١): «حدثنا علي بن الحسن السنجاني قال: سمعت يحيى بن معين يقول: خالد بن يزيد العمري كذاب». وقال: سُئل أبي عن خالد بن يزيد العمري المكي، فقال: «كان كذابًا أتيته ولم أكتب عنه وكان ذاهب الحديث». اهـ.

٦٠١- " لَوْ دُعِيَ بِهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، فِي سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ لَاسْتُجِيبَ لِصَاحِبِهِ: سُبْحَانَكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، يَا حَنَّانُ يَا مَنَّانُ، يَا بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ".

الحديث: لا يصح، أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١١٦/٤) من حديث جابر بن عبد الله مرفوعًا، وآفته خالد بن يزيد العمري وهو كذاب ذاهب الحديث؛ كما بينا آنفًا.

٦٠٢- "أَتَانِي جِبْرِيلُ فَقَالَ: أَقْرِئْ عُمَرَ السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُ أَنَّ رِضَاهُ حُكْمٌ وَغَضَبَهُ عِزٌّ".

الحديث: لا يصح، أخرجه الحافظ الطبراني في «المعجم الكبير» (٦٠/١٢) (ح١٢٤٧٢)، وفي «الأوسط» (١٦١/٧) (ح٦٢٩٣) من حديث ابن عباس مرفوعًا، وآفته خالد بن يزيد العمري وهو كذاب ذاهب الحديث كما بينا آنفًا، وقال ابن حبان في «المجروحين»: «يروي الموضوعات عن الأثبات». اهـ.

٦٠٣- " ذُو الْوَجْهَيْنِ فِي الدُّنْيَا يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ وَجْهَانِ مِنْ نَارٍ".

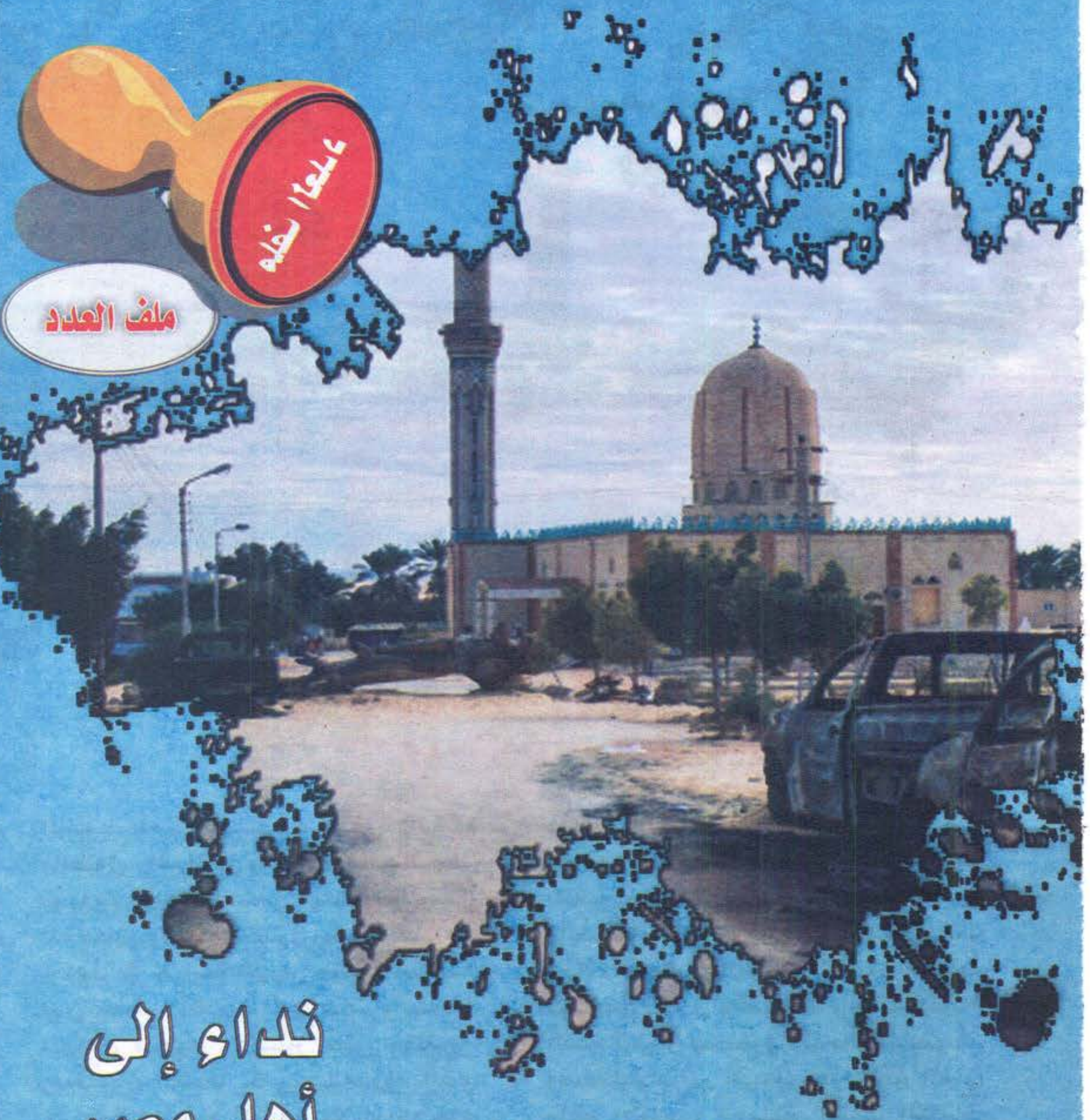
الحديث: لا يصح، أخرجه الحافظ الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٥١/٧) (ح٦٢٧٤) من حديث سعد بن أبي وقاص مرفوعًا، وقال: «لا يُروى عن سعيد إلا بهذا الإسناد، تفرد به خالد بن يزيد العمري». اهـ.

فالحديث من الغرائب والأفراد وعلته خالد بن يزيد العمري، وهو كذاب ذاهب الحديث يروي الموضوعات عن الأثبات؛ كما بينا آنفًا.

٦٠٤- "مَنْ وُلِدَ له ثلاثة، فلم يسم أحدهم محمدًا فهو من الجفاء، وإذا سميتموه محمدًا فلا تسبُّوه، ولا تجبهوه ولا تُعنتوه، ولا تضربوه، وشرِّفوه وعظِّموه وأكرموه، وبرُّوا قَسَمه".

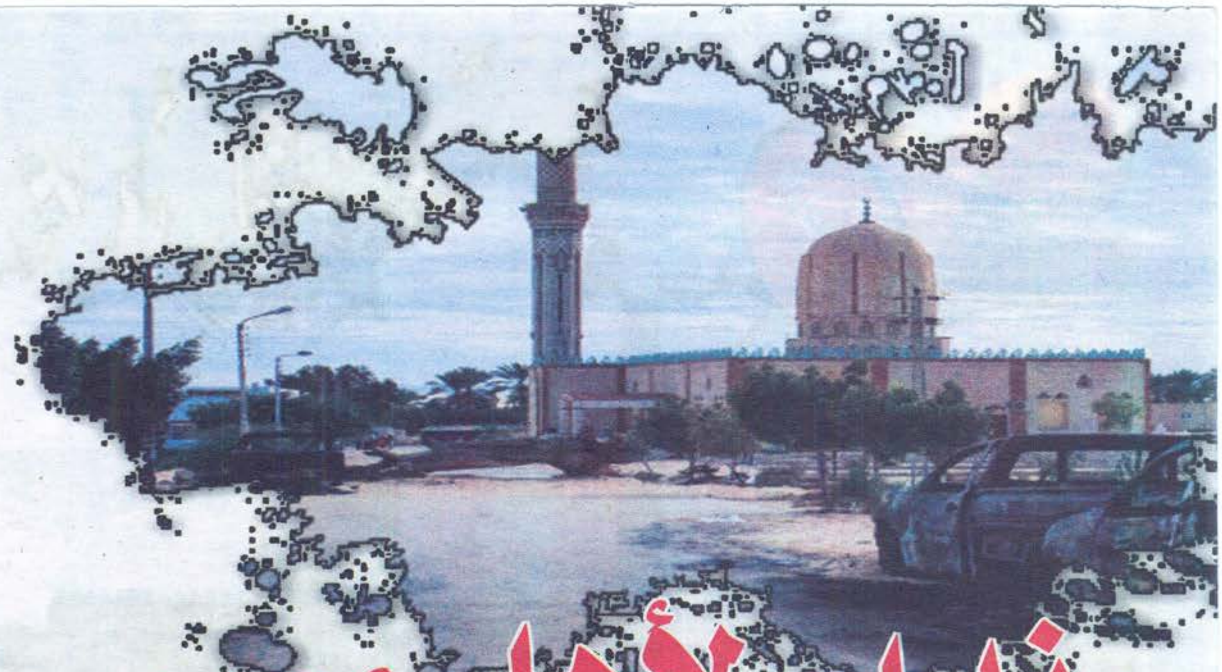
الحديث: لا يصح، أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١٧/٣) (٥٨٠/١٠) ومن طريقه أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١٥٥/١) من حديث ابن عمر مرفوعًا، وعلته خالد بن يزيد العمري، وهو كذاب، ذاهب الحديث يروي الموضوعات عن الأثبات، كما بينا آنفًا.

ملف العدد



نداء إلى
أهل مصر

وقفات شرعية
مع حادثة قتل المصلين



نداء لأهل مصر

إعداد د. عماد بن محمد علي عيسى
المفتش بوزارة الأوقاف

الحمد لله ذي المنَّة والطَّوْل، والقوة والصَّوْل، رافع الحقِّ ومُعْليه، وقامع الباطل ومُرْديه، ومعزِّ المصلحين ومُديلهم، ومذلِّ المفسدين ومُزيلهم، يُنزِّل رحمتَه على من جاهدَ في حراسة الدِّيار، ويُحلّ عقوبتَه بمن جاهر بإضاعة الحرُمات والذِّمار، المتكفِّل بتأييد الأبرار حتى يَظْفروا، وبخذْلان الفُجَّار حتى يُدحَروا، الذي لا يفوته المجرمُ الهارب، ولا ينجو منه المستترُ بجُرمه والموارب، ولا يَؤوده حفظُ البلاد وحقنُ دماءِ العباد، لكنه سبحانَه يبتلي ليهذِّبَ لا ليعذِّب، إذ لا يُعييه المعضِل، ولا يُعجزه المشكل، وصلى الله وسلم على مسك الختام، المبعوث بالرحمة والسلم والإسلام، وعلى آله أعلام الهُدى وسُرُج الظلام على مدَى الأيَّام، وعلى أصحابه مصابيحِ الدُّجى والغُرِّ الكرام، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم البعثِ لربِّ العالمين وساعة القيام. وَبَعْدُ؛

فَهَذِهِ مَقَالَةٌ كَتَبْتُهَا بَعْدَ أَنْ جَاءَنِيَ الْخَبَرُ - خبر مسجد الروضة بالعريش- يَجُرُّ النَّفيرَ، وَيُهَيِّجُ الزَّفيرَ، وَقَدْ هَمْهَمَتِ النَّفْسُ بِالصُّعَدَاءِ، وَجَرَى مِنَ الْعَيْنِ الدَّمْعُ وَغَلَبَ الْبُكَاءُ، وَحَشْرَجَ الصَّدْرُ بِالنِّدَاءِ؛ فَتَعَوَّذْتُ بِاللهِ مِنَ الْيَأْسِ وَالْقُنُوطِ، وَأَخَذْتُ بِلِجَامِ الْقَلَمِ قَبْلَ أَنْ يَضْطَرِبَ وَيَلْحَقَهُ السُّقُوطُ، وَاسْتَعَنْتُ بِرَبِّي الْبَصِيرِ فَهُوَ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ، وحينئذٍ أقبلتْ الكلماتُ تتكاثر، وأسرعتْ العباراتُ تتناثر، وجاءتْ الفوائدُ تتراكم، وترجَّلتْ المعاني تتزاحم، هذا مع ما حولي من أعمالٍ وأشغالٍ لا يكاد يسلم معها فكر، ولا يسمح بها طَبع، فاللهُ المستعان، وقد خفتُ أن لا يطاوعَني قلمي لهَوْل ما وقَع، وشدة ما إليه كلُّ آثم نـزَع؛ إذ يكون القلمُ في المصائب أحيانًا كالابنِ العاقِّ، والصاحب المُشاقِّ، والكلام مستصعبٌ عند النَّوازل، وربما كان نزعُ ضرسٍ أهونَ منه، لكنَّ اللهَ وفَّق وأعانَ

فله الحمدُ فهو سبحانه له أهل، فجاءت المَقالَةُ على غير موعد تُنبِئُ البَصير الْحاذِقَ وَالْغُفلَ الرَّيِّض- عَلَى السَّواء- على خُطورة الأمر وبلوغ المِحْنة من مصر مبْلغًا شَديدًا، وحَسْبِي أَنْ أَضعَ فِي هَذا المَقال عَلامَات وَصُوىً عَلَى طَرِيقِ إِصْلاح حال البلاد لأتغيَّا بِهَا غَايَةً نَبِيلَةً عَسَى الله أنْ يكف عنا بأس المفسدين ولا يَفْعلُ ذلك إلاَّ هُو.

حرمةُ الدّماء والحُرُمات:

لا يَشُكُّ شَاكٌ، ولا يَرْتَابُ مُرْتَابٌ فِي أَنَّ الإسلام عظم حرمة الدماء أشد تعظيما فقال: « وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا » (النساء: ٩٣)، وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: « لَنْ يَـزَالَ المُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِه، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا » رواه البخاري (٦٨٦٢).

وقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ أيضًا: « إِنَّ مِنْ وَرَطَاتِ الأُمُور، الَّتِي لا مَخْرَجَ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا، سَفْكَ الدَّم الحَرَام بِغَيْرِ حِلِّه » رواه البخاري (٦٨٦٣)؛ فإذا كان هذا فيمن قتل مؤمنًا واحدًا فكيف بمن قتل المؤمنين ركعًا وسجودًا؟!

سيرُوا على دَرْب هؤلاء:

ومما يُثلج صدورنا ويُبَشِّرنا بالسَّير على خطى هـؤلاء ما فَعَلَهُ الأزهـرُ - كعبةُ العلم وقبلتُه صانه الله وحماه من العداة وأدامـه للمسلمين وأبقـاه للهداة- من صرْف المعاشات، وبذْل المعُونات، ومنْحهم رحلة الحجّ إلى بيت الله الحرام مُواساةً لهؤلاء المبتلَيْن من الأرامل واليَتامى مع تعليمهم فِي أزهرنا الشامخ بلا كُلفة ولا نفقة، فجزى اللهُ من فعل ذلك- عن أهل الروضة- خيرًا، وثقَّل به موازين حسنات المحسنين.

كما لا يَخْتَلِفُ اثْنَان أَنَّ سُوقَ تعظيم الحرمات عمومًا دماءً وغيرها قَدْ كَسَدَ، وأنَّ رَبْعَها قَدْ فَسَدَ، وأنَّ بضاعة أهلها قَدْ لحقها البَوار وولَّتْ الأدْبَار، فرَأيْنا من النَّاس مَنْ هُوَ متجرئ على قتل المصلين فِي بلاد المسلمين ولو كان هذا من اليهود وغيرهم من أعداء الأمة لهان الخطب غير أنه بات فِي المسلمين من هو آزَرُ الخِصَال، نَمْرُودُ الفعَال، حتَّى تَنَاكرتْ القُلُوبُ، وَغلَبَتْ عَلَيْهَا الشُّكُوك والرِّيَب، ولا يَسْتَطيعُ المرءُ مِنْ هَوْل ما يَرَى ونَكَد ما يُطالِعُ إلاّ أنْ يَتَعوَّذَ بالله رَبِّ الفَلَق من شرِّ ما خَلَقَ عمومًا ومن شرِّ الفتن وأهلها خصوصًا.

شَكَوْتُ وما الشَّكْوَى لِمِثْلِيَ عَادَة وَلَكِنْ تَفِيضُ الكَأْسُ عِنْدَ امْتِلائِهَا

يومُ شِدَّة:

بَدْأَة ذي بَدْء أقُولُ: إنّه ليومٌ أيْومُ وليلةٌ ليلاءُ وساعاتٌ شديدة على مصر وأهلها أن يذهب فِي دقائق معدودات- لا فِي عشية أو ضحاها- قريب من ثلاثمائة رجل وشاب وطفل يُقتلون بلا جريرة ارتكبوها ولا خطيئة اقترفوها تستوجب ذلك الحادث، قد قتلهم المجرمون فِي بيت من بيوت الله وهم يصلون الجمعة وفِي وقت ساعة الإجابة ومع شدة الخطب والمصاب الجلل وفداحة الحادث وخسارة تلك الأرواح الزكية والأنفس الطاهرة - نحسبهم كذلك والله حسيبهم ولا نزكي على الله أحدًا - إذ أحسن الله ختامهم فِي بُقْعة طاهرة وبيْت من بيوت الله وفِي ساعة إجابة وهو متطهِّرون « وَاللَّه يُحِبُّ المُطَّهِّرِينَ ».

ومن أهمِّ أسباب هذا الحادث أنَّهُ قَدْ نَبَغَتْ فِي بلادنا نَابِغَةُ زَيْغ ونابتة فساد وشر، أظْهَرُوا البَاطِلَ وأوهَمُوا الناس أنه حق صريح ولَمْ يَسْتَنْصِحُوا ناصحًا ولَمْ يُطيعُوا مُوَفَّقًا ولا مُسدِّدًا والرَّابحُ فِي الشَّرِّ خَاسرٌ ومَنَ البرِّ ناقصٌ وعنه خاسرٌ.

ولا ننسى أن نقول: إن الأيام ستكشف عن هؤلاء الجناة وسيظهر السر المكتوم لهؤلاء الغواة وستبوح الفترة المقبلة بهؤلاء المحاربين لله ورسوله والأيام حبالى بكل جديد «وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ».

نداء لأهل مصر:

هَذَا وَإِنَّهُ لَمَّا سَاءَنِي ما ساء العُقَلاَءَ من هذا القتل الذريع وحصرتْ صُدُورَنا أن يهتدوا ويرجعوا ويكفوا أيديهم عن إهلاك الحرث والنسل أَحْبَبْتُ أَنْ أواسي أهل مصر عمومًا بتلك الكلمات، وأردف ذلك بما أزفه من بَعْضِ البَشَائِرِ وَأَسُوقَ إِلَيْهِم ما يَرْغَبُ في إمْكَانِ علاَجِ ذلك، فأكُونَ بذلك قد رَفَعْتُ هَذَا المبْتَدَأَ بالخَبَرِ ونَصَبْتُهُ للعَيْنِ بعْدَ الأثَرِ، كما قال القائلُ:

إذا هبتْ رياحُك فاغْتنمها
فعقْبى كل خافقة سكونُ

يا أهل مصر أحمدُ إليكم الله الذي لا إله إلا هو وهو للحمد أهل وأعزيكم عزاء نرجو به المثوبة فأقول:

يا أهل مصر أنتم في رباط وثغر عتيق هو مطمع لكل حاقد فاحذروا الفتن.

يا أهلِ مصر«اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّه لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ».

يا أهل مصر «لاَ تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ » فلكم عند الله الأجر والمثوبة.

يا أهل مصر «وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ».

يا أهل مصر لئن جاءكم سفكة الدماء «مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا » فأنتم إن شاء الله منصورون «وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ».

يا أهل مصر هؤلاء القتلة الآثمون شر مكانا و«إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ».

يا أهل مصر «اللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ».

يا أهل مصر إن الفتن تحصد الناس حصدًا «فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً».

يا أهل مصر «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا».

يا أهل مصر سلوا الله من فضله ليرفع عنكم البلاء يا أهل مصر أبشروا بالفرج القريب والنصر المؤزر «فإن النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرًا» ولن يغلب عسرٌ يُسْرَيْن.

يا أهل مصر استقيموا كما أمرتم لتكون لكم العاقبة فـ«العاقبة للمتقين».

مِنْحة بعد محْنَة:

يا أهل مصر من المحن تأتي المنح فكما رأينا هذه البلوى فعن قريب يكشفها الله وسيحفظ الله مصر وأهلها ورجالها ومن يخلص لها ويقوم على أمنها وحراستها وحمايتها وسيقيض الله لمصرنا من يردع القتلة وسيهيئ لها من يدفع كل من يهلك الحرث والنسل غير أن من الواجب علينا أن نعمل على أن تَصفُوَ القُلوبُ وتَسُلَّ السَّخيمَةَ وتُنشَرَ المودَّةَ وتُضعَّفَ المَحَبَّةُ وتَذْهَبَ الضَّغائِنُ ويَزُولَ وَحَرُ الصُّدُور، ويَذُوبَ غلُّ النُّفُوس وغَوائلُها، من أجلِ هذا وَجَبَ العَملُ على وَضْعِ الأيدي في الأيدي لحل الإشكال، وتَقْويمِ مَسارنا من باب قول الله تعالى: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ» وبَعْدَ أنْ صار شِعارُ النَّاس إنَ لمْ تَغْلِبْ فاخْلِبْ (فاخْدَعْ) لا بد أن تظهر في النَّاس معاني الأخوة «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ»، وبَدلاً من أن يتَجاذَبَ النَّاسُ أزمَّة الخلاف ويَقعُوا في المحَالِ ندعو الله أن ييَسِّر لَهُمُ الحَالَ وَأن يصْلِحَ منْهُمُ البَالَ.

فَيَا أخي خُذْ بعِنَانِ هذا الأمر مَاضيًا على محاربة كل ضير ومُعانَقَة الخَيْرِ كل

الخير غير مُلتفت عنه ولا مُعرِّج على غيره صابرًا على وُعورة المَسلك وصُعوبة الطريق مع ترك ارتداء الحماقة، ونبذ التبرقع بالصفاقة أمّا أن يكثر الغلط واللغط، ويحيص الناس حيصة حُمر الوحش، ثم يكون قرض الأعراض والتمضمض بالاعتراض والصيال بذلك والتصاول والاستطالة والتطاول ثم تزهق نفوس بريئة وتذهب أرواح فهذا خذلانٌ وتخاذل، وشرٌّ كبيرٌ يغشى الناس إن لم ينتبهوا ويلفّهم لفًّا كمن غشيته عجاجة وغُبارٌ كثيف فهل يُبصر ما حوله؟!

وهو أمرٌ مُستصعبٌ لمن كرهه مُيسّرٌ على من تبعه، فمن لازمه في الحضر، وزامله في السفر سهل عليه، ولان له الصعب منه، وإذا رأيت الناس قد انصرفوا عن علاج ذلك فلا تقل: إذا كنت في قوم عور فغمّض عينيك حتى تعدّ أعور، فهذا كلامُ من لم يُمعن الغوص في الخبايا، ولم يجدّ في طلب الخفايا، وسيندمُ هؤلاء يوم يجني الزارعون ما زرعوا ولات ساعة مندم، فدعك من الناس فإنهم لن يُغنوا عنك من الله شيئًا واجتهدْ والله للساعين خيرُ مُعين.

لا يَحصُدُ المَرْءُ عند فاقته

إلا الذي في حياته زرعا

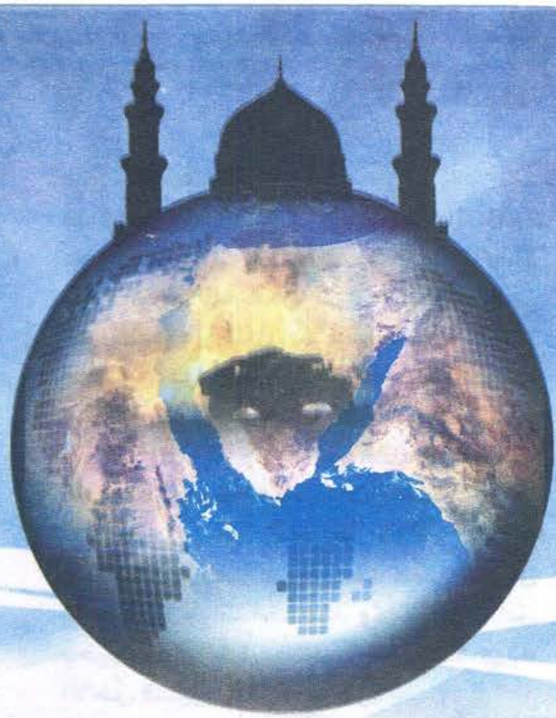
أخي احذر هؤلاء القتلة وتبرأ إلى منهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنت عليه من الهدى والحق، إنك إن أطعت هؤلاء الغُواة وانصعت لهؤلاء العُواة وتبعت هؤلاء الحواة خسرت دينك ودُنياك في زمان الاجتراء على محارم الله، ورجعت بعد طول عُمر وغيبة بالخيبة وصفر العَيبة، واعلم أنه ليس قصدي بهذه الكلمات إلا الوصية بتحقيق هذا الغرض والنصيحة بأداء الحق المفترض بعيدًا عن اتّهام العباد فلستُ عليهم بوكيل، غير أني أوصف حالًا أعاينها، وأعمل على إزالتها ودواء علّتها.

فسرْ على هذا النهج الذي سار عليه السلف- عليهم سحائبُ الرحمة وشآبيبُ المغفرة والرضوان- فلم يكن الواحدُ منهم يأتي من الدماء محظورًا، ولا يسلك منها طريقًا مخطورًا، بل مهّدوا طريق حفظها السويّة، وسلكوا سُبل صيانتها المرضيّة، وأناروا سُرجها المُضيّة، ولا عجب فقد رزقهم الله طبعًا سليمًا وهداهم صراطًا مستقيمًا، فيا ليتنا نقبض قبضة من أثر هؤلاء الأقوام فننبذها في ظهراني أقوامنا عسى الله أن يُحيي بها موات أخلاقنا، ولا يزال الناسُ بخيرٍ ما دام الأوّل يقتبسُ منه ويقتدي به الآخرُ، فسيروا على درب هؤلاء.

تحذير ونذير:

إياكم والدخول في الفتن فإنها إذ هاجت لم تنته دون بلوغ إرادتها ومنتهى غايتها وحينئذ لا يدفعها دافع ولا يقوم لها جمع جامع ورحم الله العلامة البشير الإبراهيمي حين قال- محذرًا من الاغترار بالمفسدين- في كلمات بليغة ما معناه: لا يلفتنّكم مُعلّل بسراب، ولا حاو بجراب ولا عاوٍ في خراب يأتم في البين والقطيعة بغراب، ولا يفتننّكم مُنزو في خنقة ولا مُلتوٍ في زنقة ولا جالس في ساباط على بُساط يُحاكي فيكم سنّة إخوة يوسف من كيد ومكر وهم الأسباط فكلّ هؤلاء مشعوذ خلّابٌ وساحرٌ كذّابٌ اهـ.

فخذوا مقالتي هذه ورسالتي إليكم أخذ الجدّ؛ فقد محّضتُ لكم فيها النُصح النصيح – فيما أحسب-، ومخّضتها عن زُبد الأمر الصحيح، وجلّيت لك فيها الحقّ الصريح، أصلح الله خُلقنا، وسدّد قولنا وعملنا، وبلّغنا أملنا، وهدانا سُبُلنا، وجعل سعينا مُقرّبًا إليه، ومُزلفًا لديه وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين.



وقفات مع حادثة قتل المصلين

إعداد المستشار/ أحمد السيد علي إبراهيم

الحمد لله حمداً لا ينفد، أفضل ما ينبغي أن يحمد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تعبد، أما بعد؛ فقد استيقظت مصر، والعالم بأسرة على نبأ أليم، وخبر عظيم، هزّ الوجدان، وبكت منه العينان، ولم لا وقد فجع بقتل مئات المصلين، بمسجد الروضة ببئر العبد، بسيناء الأبية، ولنا مع هذا الحادث الأليم الوقفات الآتية:

الوقفة الأولى: تعريف الخوارج وبداية نشاتهم:

عرّف أهل العلم الخوارج بتعريفات منها ما بيّنه أبو الحسن الأشعري - رحمه الله - في « مقالات الإسلاميين » أن اسم الخوارج يقع على تلك الطائفة التي خرجت على رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وبيّن أن خروجهم عليه هو العلة في تسميتهم بهذا الاسم، حيث قال- رحمه الله تعالى-: (والسبب الذي سموا له خوارج خروجهم على علي رضي الله عنه لما حكم) اهـ.

ومن أهل العلم من يرجّح بداية نشأة الخوارج إلى زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ويجعل أصل الخوارج ذا الخويصرة الذي اعترض على الرسول صلى الله عليه وسلم في قسمة ذهب كان قد بعث به علي رضي الله عنه من اليمن.

الوقفة الثانية صفاتهم، وأهم معتقداتهم:

للخوارج صفات يعرفون من خلالها، ثبتت في السنة النبوية الشريفة، بينها الشيخ عمار الصياصنة في مقالته « صفات الخوارج في السنة النبوية »: (لم يأت في السنة النبوية تحذير من فرقة بعينها من فرق هذه الأمة إلا الخوارج، فقد ورد فيها أكثر من عشرين حديثاً بسند صحيح أو حسن، وما ذلك إلا لضررهم الجسيم على الأمة، والتباس أمرهم على الناس واغترارهم بهم؛ إذ ظاهرهم الصلاح والتقوى، ولأن مذهبهم ليس قاصراً على الآراء والأفكار، بل يتعدى ذلك إلى سفك الدماء. فمن صفاتهم الثابتة في السنة:

١- صغار السن: فهم في غالبهم شباب صغار، يقل بينهم وجود الشيوخ والكبار من ذوي الخبرة والتجارب، قال عنهم النبي صلى الله عليه وسلم: (حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ)، قال الحافظ ابن حجر في الفتح: (وَالْحَدَثُ: هُوَ الصَّغِيرُ السِّنِّ) اهـ.

٢- الطّيش والسَّفه: فعامة الخوارج ومن يتبنى فكرهم من الشباب الذين تغلب عليهم الخِفّة والاستعجال والحماس، وقصر النظر والإدراك، مع ضيق الأفق وعدم البصيرة، كما جاء في الحديث المتفق عليه: (يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ، حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ)، والأحلام: الألباب والعقول، والسَّفه: الخفة والطيش.

٣- الغرور والتّعالي: فالخوارج يُعرفون بالكبر والتعالي على عباد الله، والإعجاب بأنفسهم وأعمالهم، ولذلك يُكثرون من التفاخر بما قدموه

وما فعلوه!! قال صلى الله عليه وسلم: (إنَّ فيكُمْ قَوْمًا يَعْبُدُونَ وَيَدْأَبُونَ، حَتَّى يُعْجَبَ بهمُ النَّاسُ، وَتُعْجِبَهُمْ نُفوسُهُمْ، يَمْرُقونَ منَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ منَ الرَّميَّةِ) رواه أحمد بسند صحيح.

٤- الاجتهاد في العبادة: فهم أهل عبادة من صلاة وصيام وقراءة وذكر وبذل وتضحية، وهذا مما يدعو للاغترار بهم، ولذا جاء البيان النبوي واضحاً في التنبيه على هذه الصفة فيهم: (لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلاَ صَلاَتُكُمْ إِلَى صَلاَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلاَ صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ) (رواه مسلم). وقال: (يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ) (متفق عليه).

٥- سوء الفهم للقرآن: فهم يكثرون من قراءة القرآن والاستدلال به، لكن دون فقه وعلم، بل يضعون آياته في غير موضعها، ولهذا جاء وصفهم في الأحاديث: (يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ)، (يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ رَطْبًا، لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ)، (يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ).

٦- الكلام الحسن المنمّق: كما قال عنهم النبي صلى الله عليه وسلم: (يُحْسِنُونَ الْقِيلَ، وَيُسِيئُونَ الْفِعْلَ)، (يَتَكَلَّمُونَ بِكَلِمَةِ الْحَقِّ)، (يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ).

قال السندي في حاشيته على سنن النسائي: (أَي يَتَكَلَّمُونَ بِبَعْضِ الأَقْوَالِ الَّتِي هِيَ من خِيَار أَقْوَال النَّاس فِي الظَّاهِر، مثل: إن الحكم إلا لله، ونظائره، كدعائهم إلى كتاب الله).

٧- التّكفير واستباحة الدماء: وهذه هي الصفة الفارقة لهم عن غيرهم؛ التكفير بغير حق واستباحة دماء المخالفين لهم، كما قال عنهم النبي صلى الله عليه وسلم: (يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ) (متفق عليه).

وهذا (مِنْ أَعْظَمِ مَا ذَمَّ بِهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الْخَوَارِجَ) مجموع الفتاوى.

وسبب قتلهم لأهل الإسلام: تكفيرهم لهم، قال القرطبي في المفهم: (وذلك أنهم لما حكموا بكفر مَن خرجوا عليه من المسلمين، استباحوا دماءهم).

٨- اتخاذهم شعارًا يتميزون به عن سائر الناس: ولهم في كل عصر وزمان شعار يتميزون به، وقد يكون هذا الشعار في الراية، أو لون اللباس، أو هيئته، أو غير ذلك.

وقد كان شعارهم في زمن علي بن أبي طالب حلق شعر رؤوسهم، كما أخبر عنهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (سِيمَاهُمُ التَّحْلِيقُ) (رواه البخاري).

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى: (وَهَذِهِ السِّيمَا سِيمَا أَوَّلِهِمْ كَمَا كَانَ ذُو الثُّدَيَّةِ؛ لا أَنَّ هَذَا وَصْفٌ لازِمٌ لَهُمْ).

الوقفة الثانية: أقوال أهل العلم في تكفير الخوارج:

اختلف العلماء في مسألة تكفير الخوارج على ثلاثة آراء، ولكل رأى أدلته كالتالي:

الرأي الأولُ: الحكم بتكفيرهم:

وممن ذهب إلى تكفيرهم الحسن بن محمد بن علي، ورواية عن الإمام الشافعي، ورواية عن الإمام مالك، وطائفة من أهل الحديث.

من أدلة من قال بكفرهم:

١- حديث سُوَيْد بْن غَفَلَةَ، قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنْ الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ، لاَ يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (رواه البخاري، ومسلم).

الرأي الثاني: الحكم بعدم تكفيرهم:

وهذا الرأي هو لأكثر أهل الأصول من أهل السنة، وممن ذهب إلى هذا القول، أبو حَنيفَةَ، ورواية عن الإمام مالك ورواية عن الشافعيّ، ورواية عن الإمام أحمد، وَجُمْهُور الْفُقَهَاء، وَكَثِير مِنْ أَهْلِ الْحَدِيث، وهو رأي شيخ الإسلام ابن تيمية، وهذا الرأي هو ما يتبناه الأزهر الشريف.

من أدلة من قال بعدم كفرهم:

١- أنهم نطقوا بالشهادتين ودخلوا في الإسلام وهذا يمنع من تكفيرهم أو إلحاقهم بمن لا يقر بذلك، وتفسيقهم إنما كان لما عرف عنهم من تكفيرهم المسلمين واستباحة دمائهم وأموالهم.

٢- إجماع علماء المسلمين على أن الخوارج فرقة من فرق المسلمين لم يخرجهم أحد من تلك

الفرق بصفة العموم وإن خرجت بعض طوائف منهم للقطع بكفرهم كاليزيدية والميمونية. (قال الخطابي فيما نقله عنه الحافظ ابن حجر: أَجْمَعَ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ الْخَوَارِجَ مَعَ ضَلَالَتِهِمْ فِرْقَةٌ مِنْ فِرَقِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَجَازُوا مُنَاكَحَتَهُمْ وَأَكْلَ ذَبَائِحِهِمْ، وَأَنَّهُمْ لَا يُكَفَّرُونَ مَا دَامُوا مُتَمَسِّكِينَ بِأَصْلِ الْإِسْلَامِ.) ا.هـ. وَقَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: (ذَهَبَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّ الْخَوَارِجَ غَيْرُ خَارِجِينَ عَنْ جُمْلَةِ الْمُسْلِمِينَ لِقَوْلِهِ « يَتَمَارَى فِي الْفُوقِ » لِأَنَّ التَّمَارِيَ مِنَ الشَّكِّ، وَإِذَا وَقَعَ الشَّكُّ فِي ذَلِكَ لَمْ يُقْطَعْ عَلَيْهِمْ بِالْخُرُوجِ مِنَ الْإِسْلَامِ، لِأَنَّ مَنْ ثَبَتَ لَهُ عَقْدُ الْإِسْلَامِ بِيَقِينٍ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ إِلَّا بِيَقِينٍ. ا.هـ.)

الرأي الثالث: التوقف عن تكفيرهم:

وهو الغالب على الإمام أحمد، روى الخلال في السنة بإسناده فقال: (وأخبرني يوسف بن موسى أن أبا عبدالله قيل له: (أكفر الخوارج ؟ قال: هم مارقة. قيل: أكفار هم ؟ قال: هم مارقة مرقوا من الدين.) (إسناده حسن)

قال القاضي عياض في الشفا: (ولمثل هذا ذهب أبو المعالي (أي التوقف) رحمه الله في أجوبته لأبي محمد عبدالحق وكان سأله عن المسألة واعتذر له بأن الغلط فيها صعب لأن إدخال كافر في الملة أو إخراج مسلم عنها عظيم في الدين.) ا.هـ.

الوقفة الثالثة: فضيلة من مات في الحادثة:

من قتل في مسجد الروضة بسيناء نال الفضائل الآتية:

١- قتل يوم الجمعة خير يوم طلعت عليه الشمس: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (خيرُ يومٍ طلعت عليه الشمسُ، يومُ الجمعةِ) (رواه مسلم)

٢- يأمن من فتنة القبر: فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من مسلم يموتُ يومَ الجُمُعَة، أو ليلةَ الجُمُعَة، إلا وَقَاهُ اللهُ فتنةَ القبر) (رواه أحمد، وقال عنه الألباني حسن بمجموع طرقه أو صحيح).

٢- قتل وهو في المسجد خير بقاع الأرض: فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (خَيْرُ البقاعِ بُيوتُ اللهِ في الأرض) (أورده المنذري في الترغيبِ والترهيبِ وضعفه الألباني).

٣- قتل وهو يستمع إلى الخطبة وينتظر الصلاة فيبعث يوم القيامة مصليا: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنما يُبعثُ الناسُ على نيَّاتِهم) (رواه ابن ماجه وصححه الألباني).

٤- له أجر شهيد: فعن سعد بن زيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ قُتلَ دُونَ دَمِه فهوَ شَهيدٌ) (رواه الترمذي وحسنه الألباني).

الوقفة الرابعة: طرق مواجهة هذا الفكر الشيطاني:

تكمن تلك الطرق في الآتي:

١- المواجهة الفكرية:

فتجب المواجهة الفكرية بجمع الشبه ونقضها ونقدها بواسطة فقهاء الشريعة الإسلامية، والتنبيه على دلالات النصوص في علوم القرآن والتفاسير، والتنبيه على الأخبار والآثار والوقائع التي يستشهدون بها، فهذا العمل العلمي، يجب النفير العام من العلماء الخبراء سواء في العلوم الإسلامية أو العلوم الاجتماعية والجنائية مع توفير العدالة الاجتماعية؛ لأن أفكار الخوارج بفصائلها والجماعات المتطرفة وولاة الشيعة كلهم بحاجة إلى معالجات ومداواة بخطط مدروسة في منظومة متكاملة وليس بنظام الجزر المنعزلة للوصول إلى كلمة سواء.

٢- المواجهة الاقتصادية، والاجتماعية:

وذلك بتنمية سيناء اقتصاديا، وإنشاء العديد من المصانع العملاقة بها، والتي تستوعب آلاف الأيدي العاملة من أبناء سيناء، ومشاركتهم في التنمية بها، والمسارعة في تمليكهم للأراضي التي بحوزتهم، وبناء التجمعات السكنية التي تراعى البيئة البدوية، وكذا المسارعة بإنشاء العديد من المعاهد الأزهرية، وفرع لجامعة الأزهر لنشر الوعي الديني الصحيح بين أبناء سيناء، وذلك للحد من الفكر المتطرف بها.

٣- المواجهة العسكرية:

فقد وردت الأدلة بالأمر بقتال من لم يرجع منهم عن بدعته ومنها:

أ - الحديث السابق ذكره، وفيه: (لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد) (متفق عليه).

ففي هذا الحديث توعدهم النبي صلى الله عليه وسلم إن أدركهم قتلهم قتلاً مستأصلاً بحيث لا يبقي منهم أحداً، وفي رواية لهما: (فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة)

ب- عن أبي سعيد الخدري وأنس بن مالك رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الخوارج (يكونُ في أمتي اختلافٌ وفرقةٌ، قومٌ يُحسنون القيلَ ويُسيئونَ الفعلَ، يقرؤون القرآنَ لا يجاوزُ تراقيهم، يمرُقون من الدين مروقَ السهم منَ الرَّميَّة، لا يرجعونَ حتى يرتدَّ على فوقه، همَ شرُّ الخلق والخليقة، طوبى لمنْ قتلهمْ وقتلوهُ، يدعونَ إلى كتابِ الله وليسوا منه في شيء، مَن قاتلهمْ كان أولى بالله منهمْ. قالوا: يا رسولَ الله، ما سيماهُم؟ قال: التحليقُ) (رواه أبو داود، وصححه الألباني)

الوقفة الخامسة: الواجب على كل مسلم إزاء هذه الحادثة، وغيرها:

والواجب على كل مسلم إزاء ما يحدث بمصرنا الحبيبة الآتي:

١- التوبة والإنابة إلى الله: فلا بد من لزوم التوبة والاستغفار والإكثار من التسبيح والدعاء، قال تعالى (فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ) (الأنعام: ٤٣)، قال علي رضي الله عنه: (ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة).

٢- الحرص على العبادة والعمل الصالح: فعن معقل بن يسار رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (العِبادَةُ في الهَرْجِ كهِجْرَةٍ إليَّ) (رواه مسلم).

٣- الالتفاف حول العلماء الربانيين والدعاة الصادقين لمعرفة الأحكام الشرعية حيال الفتن: قال تعالى: (وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ) (النساء: ٨٣)، قال ابن القيم عن دور شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- في التثبيت (وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضاقت بنا الأرض أتيناه فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله عنا) ا.هـ.

٤- الثبات والتثبت: قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟) (الأنفال: ٤٥) فالأزمات عواصف تهز الأمة ولا بد للأمة من تثبيت، والقلوب الضعيفة عرضة للمد والجزر ولجذب الشياطين.

٥- ترسيخ الإيمان: علينا أن نحرص على بث الإيمان في قلوبنا وقلوب الآخرين عند الأزمة لأمور منها:

أ- في الأزمة تقبل القلوب على خالقها، وعلى الدعاة أن يضخوا في القلوب معاني الإيمان والتوكل والرغبة والرهبة والإنابة والتوبة.

ب- أن الأزمة لا تخلو من فتنة وظلمة وجفاف وتيه، وفي الإيمان نور وغيث وهداية.

ج- أن الإيمان أمان، فالله تبارك وتعالى يدافع عن الذين آمنوا، فبقدر الإيمان تكون المدافعة وبقدر الإحسان تكون المعية وبقدر العبادة تكون الكفاية.

٧- نبذ الخلاف، ووحدة الصف: فالمسلمون يحتاجون إلى نبذ الخلاف الواقع بينهم، وتوحيد صفوفهم لمواجهة هؤلاء البغاة، قال تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا) (النساء: ١٠٣)، وقال: (فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) (الأنفال: ١).

٨- عدم نقل الشائعات والتثبت من الأخبار قبل نقلها:

فعلى كل مسلم التثبت من الإخبار قبل نقلها، ولا يجوز له المسارعة في بث الشائعات التي تسبب البلبلة في المجتمع، قال تعالى: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا) (الإسراء: ٣٦).

والله أسأل أن يحفظ مصر، وسائر بلاد المسلمين، من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يحفظ جيشها، وشرطتها ومؤسساتها من كل سوء، وأن يرحم من مات من المسلمين، وأن يغفر له. آمين.



نداء القدس ودروس التاريخ

إعداد د. صالح بن عبد الله بن حميد
إمام المسجد الحرام

الحمد لله لم يزل بالإنعام منعماً، وبالإحسان محسناً، أحمده سبحانه وأشكره يغفر ذنبنا، ويجبر كسرنا، ويغيث لهفنا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له هو ربنا ومولانا، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله.

أيها المسلمون: إن التاريخ يعيد نفسه، وما أشبه الليلة بالبارحة، وما أكثر العبر وأقل الاعتبار!

إن الأمة التي لا تقرأ تاريخها ولا تستفيد من ماضيها لحاضرها ومستقبلها لهي أمة مقطوعة بتة؛ فالماضي والتاريخ ليس مفتاحاً لفهم الحاضر فحسب، بل هو أساس من أسس إعادة صيغة الحاضر وبناء المستقبل، وكتاب ربنا قد بسط لنا في أحوال الماضين، وقص علينا من قصص الغابرين؛ لأخذ الدروس واستلهام العبر.. (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (يوسف:١١١) .. (ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) (يونس:١٤).

أيها الإخوة: إن سجل التاريخ هو المنار المرشد الذي يهدي -بإذن الله- ربان السفينة فيجنبه الصخور المدمرة في قاع البحار، ويقيه الأمواج العاتية فوق سطح المياه.

إن واقع الأمة اليوم في كثير من بقاعها وأصقاعها وأحوالها وأوضاعها يستدعي النظر والاعتبار، والتفكر والادكار، ولو أن المسلمين استوعبوا دروس الماضي لما أخطؤوا في كثير مما أخطؤوا فيه، والذي ينظر في تغيرات الأمم في مللها وأخلاقها، ويتأمل في تقلبات الدول في سياساتها واقتصادها هو أقدر على تفهم الحوادث الماضية، والتي هي صورة مشابهة لكثير من الوقائع المعاصرة...

أيها الإخوة: ويسهل الدرس، وتتضح العبرة، وتتجلى الصورة حين تنظر الأمة في ماضي تاريخها، لا في تاريخ غيرها، وحين تكون التجربة قد مرت بها لا بغيرها.

ومن أجل هذا فهذه دروس ووقفات مع تاريخ عجيب ودرس ثقيل، وتجربة مرة في فردوس مفقود؛ في أرض بقي فيها المسلمون ثمانية قرون، ثم خرجوا منها بل أخرجوا، وكأن لا أثر لهم فيها ولا عين .. ما الذي أدخلهم؟ وما الذي أخرجهم؟

ما أكثر العبر وما أقل الاعتبار! وتوشك أن تشبه الليلة البارحة: إنهم أسلافنا وأجدادنا في بلاد الأندلس .. دخلوها بالإسلام فاتحين، وبالعقيدة مستمسكين، ومن عالي الأخلاق متمكنين .. لأوامر ربهم متبعين، وعن مناهيه ومساخطه متباعدين .. كيف دخلوا؟ يقول أحد النصارى في رسالة بعث بها إلى ملكه يصف فيها جيش المسلمين الذين عبروا إلى بر الأندلس بقيادة طارق بن زياد: لقد نزل بأرضنا

قومٌ لا ندري أهبطوا من السماء، أم نبعوا من الأرض؟

فها هو عبد الرحمن الداخل صقر قريش، ينزل من البحر فتهدى إليه جارية بارعة الجمال، فينظر إليها ويقول: إن هذه لمن القلب والعين بمكان، وأنا إن لهوت عنها بهمتي وبمهمتي ظلمتها، وإن لهوت بها عما أطلبه ظلمت همتي ومهمتي، ثم قال: والله لا حاجة لي بها.

لقد سار المسلمون في الأندلس في عزة وقوة ومنعة ووحدة وتماسك على هذا النهج.

يذكر ابن تغري بردي: أن المنصور بن أبي عامر كان يسهر على مصالح رعيته، وكانت متابعته لأمور رعيته تستنفد كل وقته، حتى أنه كان لا ينام إلا سويعات متفرقات، فقيل له: لقد أفرطت في السهر وبدنك يحتاج إلى نوم أكثر من هذا. فأجاب: إن الراعي لا ينام إلا إذا نامت الرعية، ولو استوفيت نومي لما كان في بيوت هذا البلد العظيم عينٌ نائمة.

هذه هي صورة القوة، وحسن الرعاية، وصدق الحماية، وحفظ البلاد، ولقد بقوا على ذلك قروناً طوالاً محافظين على دينهم، معتزين بإسلامهم، متوحدين في كلمتهم، يجسد ذلك قول بعض المؤرخين من المسلمين: بقينا في الأندلس ما بقينا مع الله، وضاعت الأندلس منا لما أضعنا دين الله.

لقد بدت وبدأت عوامل الضعف، وانحلت الدولة الأموية الواحدة الكبرى إلى دويلات وملوك وطوائف .. تنافس فيها أصحابها على السلطة، وتناحروا من أجل كراسي الحكم؛ فانتشر بينهم الغدر المستحكم، والخصام الدائم، والكيد المستمر؛ فلا همَّ لأحدهم إلا تحقيق مصالحه الذاتية، وإشباع أنانيته المفرطة، وكأن الأندلس إنما وجدت لمصلحته الخاصة مهما كان ذليل المكانة مهزوز القواعد.

إن كل تقدم حضاري، وسمو فكري، وثقل سياسي، وارتفاع معنوي، وعز سلطاني، إنما مرده إلى التمسك بدين الله، وهو مرهون بمقدار الالتزام بشرع الله والبعد عن الحياة اللاهية والمجون السافر والحقوق المهدرة .. يقول ابن خلدون: إذا تأذن الله بانقراض الملك في أمة حملهم على ارتكاب المذمومات، وانتحال الرذائل، وهذا ما حدث في الأندلس وأدّى إلى ضياعها.

بل قد أدرك ذلك كاتبٌ من الخصوم يدون لذلك العصر فهو يقول: العرب هووا وسقطوا عندما نسوا فضائلهم التي جاؤوا بها، أصبحوا على قلب متقلب يميل إلى الخفة والمرح والاسترسال بالشهوات.

ألا ما أكثر العبر وأقل الاعتبار! وماذا عملت كثيرٌ من وسائل الإعلام الإسلامية اليوم؟ وكتاب ربكم يقول: (وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا) (الإسراء:١٦).

أيها الإخوة: إن سنن الله في الأمم لا تتخلف، لقد انحرف هؤلاء الأسلاف عن دين الله، ووالوا أعداء الله، وتركوا الجهاد في سبيل الله، وقعدوا عن الدفاع عن حرمات المسلمين، وابتعدوا عن أسباب التآلف والاتحاد، وحلت الأثرة محل الإيثار؛ ثم من بعد ذلك تكالبت عليهم القوى المعادية، فتمكنت منهم ومزقتهم شر ممزق.

أيها الإخوة: إن نصوص الشرع ودروس التاريخ تقول: إن العرب والمسلمين بغير الإسلام لا قيام لهم، وانهم بغير الدين لا عز لهم، فإن الإسلام وحده ولا شيء غيره هو الذي يربي ويبني ويزكي ويقوي ويزرع العزة والمسئولية (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ) (المنافقون: ٨) ولقد جسد ذلك عمر رضي الله عنه في مقولته المشهورة: "لقد كنا أذل قوم فأعزنا الله بهذا الدين، ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله"

يا قومنا: لقد ابتغى طوائف من قومنا العزة والنصر والوحدة بغير دين الله؛ ابتغوها في القوميات والوطنيات، وفي البائد الفاسد من الأحزاب والانتماءات، فماذا كانت النتيجة؟ إنها الذل-ولا أبلغ من كلمة الذل- وواقع الذل في كثير من الأنحاء والجنبات.

إن قضايانا في قدسنا وفلسطيننا وكشميرنا ومواقع أخرى اختزنت الذل في ظل نداءات غير إسلامية، وما واقع هذه القضايا إلا شاهدٌ عليه .. أبواقٌ كانت تنفخ كاذبة، وتتاجر بهذه القضايا خاطئة .. ترعد وتزبد، وتحذر وتخبر بالوعود

الوهمية حينما كانوا يقولون ويتنادون: تحرير كل شبر من الأرض، وتحرير كل حبة من الرمل، والنضال حتى آخر قطرة من الدم .. في نداءات وادعاءات صرخوا بها ونفخوا فما رأيت إلا هباءً ورماداً.

إن العرب والمسلمين حين ينبذون الإسلام وراءهم ظهرياً؛ فإنهم-والله الذي لا إله غيره- لينتحرون انتحاراً، ويطرحون سعدهم ومجدهم وطاقتهم وقوتهم.

ومن أجل استيعاب الدرس والوقفة الصادقة من أجل انطلاقة مثمرة فلنتأمل: إن كثيراً من الكتاب والمفكرين والمحللين والإخباريين الذين يتحدثون عن قضايانا في قدسنا وفلسطيننا وكشميرنا وكل حقوقنا.. هل سمعتم أحداً منهم يتحدث عن الله وعن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم؟!

ما تحدث متحدثٌ منهم عن أصلنا الديني وتاريخنا الإسلامي .. لا يتحدثون إلا عن كنعان وميراث كنعان .. ألا بعداً لكنعان كما بعدت ثمود.

إن خصومنا هم بنو إسرائيل وأتباع التوراة! وأما بنو قومنا هؤلاء فيا ترى هم بنو من؟!

إن كثيراً من بني قومنا لا يتنادون إلا باسم الأرض وحق كنعان، وبالله الذي لا يحلف بغيره إن إدارة المعركة على هذا النحو ما هو إلا ضلال استعماري مرسوم وقع فيه من وقع، في محنة نفسية وعسكرية وسياسية، لن ينالوا-والله- من ورائها خيراً..

إن بني إسرائيل يديرون المعركة ويعقدون ويبرمون باسم الدين، وباسم التوراة، وباسم التلمود، ويتنادون إلى أرض الميعاد، وثلة من بني قومنا يتنادون بعلمانية وكنعانية .. إنهم لا يذكرون محمداً صلى الله عليه وسلم، ولا عمر الفاروق، ولا صلاح الدين، ولا محمداً الفاتح، ولا التاريخ المجيد كله .. مسحورون بالاستعمار العالمي الذي ألغى الدين وجعل الشعوب تتنادى بالقومية والوطنية، وما جنوا من ورائها نقيراً ولا قطميراً .. يخرجون الإسلام من الميدان، ويبقى الذين يتنادون بالتوراة وحدود التوراة وآمالها ووعودها.

نظرة إلى الواقع الأليم في كثير من أجزاء الأمة وبقاعها، وفي رءوس كثيرٍ من مفكريها ومثقفيها وساستها ومنظريها، تكشف كم بعدت الشقة بين هؤلاء وبين شريعة ربهم، ومناهج التربية تفرض عليهم من وراء حدود، ويتحكم فيها أعداء الإسلام كما يشاءون، وإعلامهم لا يهتم إلا بإثارة الغرائز، وبث الفرقة، ونقل كفاءات الغرب ومجونه .. فهل على الفيلم الخليع، والغناء الوضيع، والرقص الماجن تربى أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟!

إنهم مفكرون ومثقفون ومنظرون لا يعتمدون على الدين في تربية، ولا يتبنونه بتشريع، ولا يوثقون به رباطاً، ولا ينطلقون منه في تضحية.......

ودرس آخر ثقيل، وموقف من الذلة شديد- أيها الإخوة- فلقد أصابنا يهود في ديننا، ونبينا، وقرآننا، ومقدساتنا، وأنفسنا وديارنا، فكلما تقدم المفاوضون معهم خطوة باتجاه السلام المرفوع زاد منهم توجيه الإهانات، وألوان الاحتقارات، وصور الإذلال للمشاعر والشعائر والمقدسات .. لقد حرقوا المسجد الأقصى، وحفروا من تحته الأنفاق، وصادروا الأراضي، وبنوا مغتصبات سموها مستوطنات، ثم تطاولوا وتطاولوا حتى داسوا القرآن ومزقوه تحت أقدامهم، وأهانوا نبينا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بصورهم ورسومهم .. إنه درس التاريخ القديم والحديث، وإن نصوص شرعنا الذي تزيدنا تمسكاً بكتاب ربنا وصحة طريقنا وإيقاناً بوعد القرآن ووعيده .. (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا) (النساء:٤٥).

هؤلاء هم اليهود بطبعهم وخلقهم، وهم شاهدون على أنفسهم في الماضي والحاضر، ولا يقال هذا تجنياً، ولا تزيداً ولا ادعاءً، ولا استعداءً، فلقد آذوا موسى عليه السلام من قبل، ورموا مريم البتول عليها السلام بالإفك والبهتان، وقتلوا الأنبياء، وقتلوا الذين يأمرون بالقسط من الناس، وحاولوا قتل نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وتآمروا عليه، وما انفكوا طوال تاريخهم يكيدون للشعوب، فقد أحلوا الربا، وروجوا الفسوق، وأكلوا أموال الناس بالباطل، واسمعوا إلى كتاب ربكم وهو يحدثكم عنهم: (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا

غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ۝ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ..) إلى قوله سبحانه: (.. فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ۝ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ) (النساء:١٥٥-١٦١).

نعم؛ لقد أصابونا في ديننا، ونبينا، وقرآننا، ومقدساتنا، وأنفسنا، وديارنا .. وإن العقل والمنطق والحكمة يقتضي أن يراجع ذوو الشأن من قومنا هذه المماطلات والمماحكات في المفاوضات، ويعلنوا موقفاً واضحاً من السلام الشامل العادل الذي يعيد المغتصب ويخرج المحتل ويرد المشردين ويخرج المعتقلين .. لا بد من ربط السلام بالإسلام؛ فبالله نحلف أنه لن يقوم سلامٌ ما لم يحترم الإسلام ويعرف له قدره في الماضي والحاضر والمستقبل، أما أن يستمر اليهود المحتلون، يحرثون ويزرعون ويمتدون، ويغتصبون تحت وابل القذائف اللفظية العربية الثقيلة التي لا تحرر أرضاً، ولا تعيد حقاً، ولا تحمي طفلاً، ولا تبني بيتاً، ومجلس الأمن الذي يضرب بحق النقض كل ما يعارض مصالح المحتلين، فهذا ما لا يمكن أن يحقق سلاماً.

ومن جانب آخر فإن الإنصاف يقتضي القول الجازم العاقل أنه لا يمكن أن يكون القتل العشوائي طريقاً للسلام، ولا يكون الاعتداء على غير الغاصبين المحتلين طريقاً للسلام، لكن لابد أن يعلم أن الكبت لابد أن يولد انفجاراً، وأن طمس الحقائق لابد أن يولد عنفا.. إنها ليست ورقة باهتة يلقى بها على موائد المفاوضات.. إنها قضية كبرى تتمرد على الوقت الذي تحصره كتابة سياسية أو تحليل آلي، إنها بقعة مباركة من أرض الله وديار المسلمين تمتد في تاريخ الأمة الإسلامية جمعاء، وتتصل بجذورها وضمائر أجيالها .. إنْ قصَّر مسئول أو تقاعس جيل فإن القضية أكبر من ذلك وأكبر، إنه نداء متصل من أجل إنصاف القضية وإقرار العدل على الأرض والشعب والقضية .. (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ۝ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ۝ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ۝ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ) (آل عمران:١٣٨-١٤١).

أمل رغم الألم

فيا أيها الإخوة: رغم مظاهر القساوة والعتاوة التي توحي بها مشاهد الحاضر المهزوم، والمستقبل الغامض المأزوم، ورغم تكدُّس معالم الفشل في كثير من الأنحاء، وفي ظل الانحراف الفكري المنهزم .. رغم كل هذا فإن المسلم المتعلق بربه، المؤمن بوعيده ووعده، والمتبصر بالسنن ونواميس الكون، يرى من وراء ذلك كله فتحاً قريباً، وليس هذا تحدثاً من سياسة قاصرة، ولا من منطق وهم زائل، ولا هو من معطيات واقع مرير، ولكنها روح الأمل الدافع، والفأل الدافق الذي تغرسه في أهل الإسلام حقائق الوحي، وهداية النبوة المحمدية الخاتمة، وشواهد التاريخ .. فلن تضيع بإذن الله قدسنا، ولا فلسطيننا، ولن تضيع قضايانا، ولن تضيع قضايا وراءها مسلمون مؤمنون.

إن القرآن الكريم والسنة المطهرة والتاريخ المحفوظ، يحدثوننا وينبئوننا أن أمة الإسلام أمة متجددة وعودة، كالغيث لا يدرى الخير في أوله أو في آخره، إنها أمة غير منقطعة بل متصلة مستمرة بإذن الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها يقول صلى الله عليه وسلم: "لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى" فلا تضعف في جانب إلا وتقوى في جانب، ولا تنهزم في ناحية إلا وتنتصر في أخرى، واستقراء التاريخ يؤيد ذلك.

عباد الله: هذا هو التاريخ، وهذه دروسه، وتلك هي سنن الله في الغابرين والحاضرين، فأبشروا وأملوا، وبدينكم فاستمسكوا، وربكم غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

اللهم وفق ولاة أمور المسلمين للعمل بكتابك وبسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم، واجعلهم رحمة لرعاياهم، واجمعهم على الحق يا رب العالمين.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

مكانة الدعاة إلى الله تعالى

قال الله تعالى: « وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ » (فصلت: ٣٣)

الولاية لمن لا يطلبها

أراد عمر بن الخطاب أن يستعمل رجلا، فبادر الرجل فطلب منه العمل، فقال له عمر: والله لقد كنت أردتك لذلك، ولكن من طلب هذا الأمر لم يعن عليه.

(العقد الفريد)

من فقه التعامل مع الآخر

عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: خطب أبو طلحة أمّ سليم. فقالت: «والله ما مثلك يا أبا طلحة يردّ، ولكنّك رجل كافر، وأنا امرأة مسلمة، ولا يحلّ لي أن أتزوّجك؛ فإن تسلم فذاك مهري، وما أسألك غيره، فأسلم فكان ذلك مهرها»

سنن النسائي

من معاني الأحاديث

(طوع) فيه «هوى متبع وشح مطاع» هو أن يطيعه صاحبه في منع الحقوق التي أوجبها الله عليه في ماله. يقال: أطاعه يطيعه فهو مطيع. وطاع له يطوع ويطيع فهو طائع، إذا أذعن وانقاد، والاسم الطاعة.

[النهاية لابن الأثير]

من جوامع الدعاء

عن شداد بن أوس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في صلاته: «اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم».

سنن النسائي

إعداد : علاء خضر

خُلق حسن فالزمه

(قال مجاهد- رحمه الله-: العمل الصّالح يرفع الكلم الطّيّب.

[البخاري- الفتح]

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عدم الإطالة في الخطبة والصلاة

عن جابر بن سمرة قال: كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قصدا، وخطبته قصدا، يقرأ آيات من القرآن ويذكر الناس .

سنن أبي داود

من دلائل النبوة

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه حدثهم: أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر.

[صحيح البخاري]

خُلق سيئ فاحذره

قال الحسن: إنّ من الخيانة أن تحدّث بسرّ أخيك.

[إحياء علوم الدين]

من فضائل الصحابة الاقتداء بهم وقبول أخبارهم

عن حذيفة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار، وما حدثكم ابن مسعود فاقبلوه.

(صحيح الجامع /١١٤٣)

نظرات في موسوعة بيت المقدس وبلاد الشام الحديثية

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى، ورسوله المجتبى، وبعد:

فإن المسجد الأقصى قبلة المسلمين الأولى، ومسرى نبينا صلى الله عليه وسلم، ومنه عرج به إلى السماوات العلى، وصلى فيه بالأنبياء والمرسلين، وبارك الله فيه وحوله، قال الله تعالى: «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» (الإسراء: ١).

إعداد محمد عبد العزيز

وهو ثاني مسجد وضع في الأرض بعد المسجد الحرام فعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: «قلت يا رسول الله: أيُّ مسجد وضع في الأرض أوّل؟ قال: المسجد الحرام. قال: قلت: ثم أيٌّ؟ قال: المسجد الأقصى. قال: قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة، ثم أينما أدركتك الصلاة بعد فَصَلِّهْ، فإن الفضل فيه». (رواه البخاري: ٣٣٦٦، ومسلم: ٥٢٠).

والمسجد الأقصى هو أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، ومسجد الأقصى». (رواه البخاري: ١١٨٩، ومسلم ١٣٩٧).

وله فضل على سائر المساجد إلا المسجد الحرام، ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم، فصلاة فيه تعدل خمس مئة صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم.

بل ومن صلى فيه لا يريد إلا الصلاة، لا يريد عرضا من الدنيا، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن سليمان بن داود صلى الله عليه وسلم لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل خلالاً ثلاثة: سأل الله عز وجل حكمًا يصادف حكمه فأوتيه. وسأل الله عز وجل ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه. وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه». (رواه النسائي: ٦٩٣، وابن ماجه: ١٤٠٨، وصححه الألباني).

حدود المسجد الأقصى:

والمسجد الأقصى اسم لجميع المسجد الذي بناه نبي الله سليمان صلى الله عليه وسلم، وقد صار بعض الناس يطلق اسم المسجد الأقصى على المصلى الذي بناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين فتح بيت المقدس، وعرض لذلك صورًا، ومنهم من يطلقه على قبة الصخرة التي بناها عبد الملك بن مروان، وكلاهما مجانب للصواب، فالمسجد الأقصى يضم ضمن حدوده المصلى الذي بناه

عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويضم القبة من خلفه وليس هو واحدًا منهما.

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى- جمع ابن القاسم- (١١/٢٧): «المسجد الأقصى: اسم لجميع المسجد الذي بناه سليمان عليه السلام، وقد صار بعض الناس يسمي الأقصى المصلى الذي بناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مقدمه».

والمسجد الأقصى أحد مقدسات المسلمين لا يملك أحد كائنًا من هو أن ينزل عنه لأحد، ولا يجوز للأمة أن تتركه بيد أعداء الله بلا خلاف بين المسلمين.

موسوعة بيت المقدس وبلاد الشام:

والكتاب الذي نعرض له كتاب من أهم كتب فضائل البلدان، بل هو من أهم وأجمع الموسوعات الحديثية التي ألفت حول بيت المقدس وبلاد الشام، وقد قامت فكرة الكتاب على ثلاث نقاط رئيسة:

الأولى: جمع كل ما ورد عن بيت المقدس وبلاد الشام سواء كان من الأحاديث المرفوعة، أو من الآثار الموقوفة من كتب السنة، أو من الكتب التي تخصصت في فضائل البلدان.

الثانية: لم يشترط المؤلف في جمعه الصحة، بل جمع كل ما في الباب سواء كان: صحيحًا، أو ضعيفًا، أو شديد الضعف، بل والباطل، وقد يتعدى ذلك لذكر الإسرائيليات ما دامت في الباب.

الثالثة: حكم المؤلف على جميع الأحاديث والآثار الواردة في الموسوعة بما أدى إليه اجتهاده، وبما تقتضيه قواعد المحدثين.

مؤلف الموسوعة:

هذا العمل الموسوعي قام عليه جمعًا وتبويبًا مجموعة من الباحثين النابهين تجاوزوا عشرة من الباحثين، وقام بالإشراف عليها، والحكم على الأحاديث والآثار الواردة فيها الشيخ: أبو عبد الرحمن أحمد بن سليمان بن أيوب، وهو من علماء هذا الكيان المبارك (جمعية أنصار السنة المحمدية) والشيخ له جهود طيبة معروفة في خدمة السنة، وتراث الأمة.

منهج الموسوعة:

قسم الباحثون الموسوعة إلى ستة كتب رئيسة جمعوا تحتها الأحاديث والآثار الواردة في الباب وهي:

- كتاب: الشام.

- كتاب: بيت المقدس.

- كتاب: الإسراء.

- كتاب: الفقه، وقد جمعوا فيه الأحاديث والآثار التي تختص بالأحكام الفقهية المختصة بهذه البقعة المباركة.

- كتاب: التفسير، وقد جمعوا فيه الآيات القرآنية على ترتيب المصحف- أعني ترتيب التلاوة- التي تختص بهذه البقعة المباركة، وما ورد فيها من أحاديث، وآثار مفسرة لها.

- كتاب: الفتن، وقد جمعوا فيه الأحاديث والآثار التي تذكر الفتن التي تقع في آخر الزمان في هذه البقعة المباركة.

وقد جمعت الموسوعة من كتب السنة المطبوعة، وكذلك من كتب فضائل البلدان مثل:

فتوح الشام للواقدي، فضائل البيت المقدس لأبي بكر الواسطي، فضائل الشام ودمشق لابن أبي الهول، فضائل الشام لأبي سعد السمعاني، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، فضائل القدس لابن الجوزي، فضائل بيت المقدس للضياء المقدسي، فضائل الشام لابن عبد الهادي، فضائل القدس والشام لابن المرجا، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل للعليمي، الفتن لنعيم بن حماد.

بل وقد حققوا أربعًا من المخطوطات للاستفادة مما فيها من أحاديث وآثار، وهي:

. الجامع المستقصى في فضائل المسجد الأقصى لقاسم بن علي بن عساكر.

.ومثير الغرام إلى زيارة القدس والشام لشهاب الدين أبي محمود المقدسي.

. والروض المغرس في فضل بيت المقدس لتاج الدين أبي النصر الحسني الدمشقي.

. واتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى للمنهاجي.

والباحثون يعرفون بسائر البقاع والبلدان المذكورة في الموسوعة ويذكرون أماكنها وأسماءها

الآن، ويفسرون غريب الأحاديث والآثار الواردة فيها.

وقد ختم الباحثون الكتاب بثمانية فهارس تفصيلية.

والكتاب يضم بين جنباته أربعًا وأربعين ومائة وألف حديث وأثر (١١٤٤).

الهدف من تأليف هذه الموسوعة:

قد لخص مركز بيت المقدس الهدف من إخراج هذه الموسوعة في أربع نقاط:

الأول: بيان أهمية بيت المقدس في القرآن والسنة.

الثاني: تنقية التراث الحديثي المقدسي، وذلك ببيان صحيحه من ضعيفه.

الثالث: إيجاد موسوعة تكون مرجعًا للباحثين، وطلاب العلم والدعاة.

الرابع: إذكاء روح التعلق ببيت المقدس في نفوس المسلمين.

طريقة عرض المادة العلمية في الموسوعة:

قسمت الموسوعة إلى ستة كتب كما سبق، وقسمت الكتب إلى أبواب، وتحت كل باب من الأبواب ما يناسبه من الأحاديث والآثار، فيذكر المؤلف الحديث بسنده من الكتاب الذي أخرجه، فإن كان في الحديث غريب أخذ رقمًا وشرح الغريب في حاشية الكتاب، وإن كان فيه بلدة من البلدان، أو بقعة أو مكان تاريخي عُرِفَ به، وفي نهاية الحديث يحشى عليه باستكمال تخريجه، وذكر درجة الحديث من حيث الصحة أو الضعف.

من أمثلة ذلك:

«كتاب: بيت المقدس، باب: فتح بيت المقدس (ص٣٢٠)، يقولون: قال ابن المبارك في الزهد: أخبركم أبو عمر بن حيويه، وأبو بكر الوراق قالا: أخبرنا يحيى قال: حدثنا الحسين قال: أخبرنا ابن المبارك قال: أخبرنا سفيان بن عيينة، عن أيوب الطائي، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب قال: لما قدم عمر أرض الشام أُتِيَ ببرذون فركبه، فهزه، فكرهه، فنزل عنه، وركب بعيره، فعرضت له مخاضة، فنزل عن بعيره، ونزع مُوقَيْه، فأخذهما بيده، وخاض الماء، وهو ممسك بعيره بخطامه- أو قال: بزمامه- فقال له أبو عبيدة بن الجراح: لقد صنعت اليوم صنيعًا عظيمًا عند أهل الأرض، قال: فصك في صدره، ثم قال: «أوه- يمد بها صوته- لو غيرك يقول هذا يا أبا عبيدة، إنكم كنتم أذل الناس، وأقل الناس، وأحقر الناس، فأعزكم الله بالإسلام، فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله».

الحاشية: «صحيح: الزهد لابن المبارك (٥٨٤)، وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٤٧/١)، والبيهقي في الشعب (٢٩١/٦) والحاكم في المستدرك (٨٨/٣)، وابن عساكر في التاريخ (٤٤/٥)، وابنه في الجامع المستقصى (ق ١٦٤ ب)، والمحاملي في أماليه (٢٣٩)، كلهم من طريق سفيان ابن عيينة به.

وذكره شهاب الدين المقدسي في مثير الغرام (ق ٩أ) والسيوطي المهاجي في إتحاف الأخصا (ق ١٢٤أ)، وقال الحاكم عقبه: صحيح على شرطهما.

قلت وهو كما قال، وأيوب هو ابن عائذ الطائي، وقيس بن مسلم هو الجدلي، وكلاهما ثقة من رجال الشيخين، وباقي الإسناد أئمة مشاهير.

وأخرجه أيضًا الحاكم في المستدرك (١٣٠/١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٩٠/٧-٣٩)، وهناد في الزهد (٨١٧)، وابن عساكر في التاريخ (٤/٤٤)، كلهم من طريق الأعمش، عن قيس بن مسلم بنحوه.

وقد صحح الشيخ الألباني رحمه الله هذا الحديث في صحيح الترغيب والترغيب (١٠٠/١) فقال: صحيح موقوف».

طبعات الكتاب:

للكتاب طبعة واحدة، الناشر: مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية قبرص- نيقوسيا، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

هذا وأسأل الله أن يجمع قلب الأمة على الاعتصام بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فهذا أول الفتح والتمكين لها.

وهذا ما يسره الله في هذا المقال، وقد سطرته على عجالة من أمري، فإن يكن خيرًا فالحمد لله رب العالمين، وإن تكن الأخرى فأستغفر الله منه.

الحلقة الأولى

سبيل المؤمنين

في فقه التعامل مع المخالفين

إعداد معاوية محمد هيكل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فقد تضافرت نصوص الشريعة التي تأمر الناس بالاعتصام بالسنة، وتوجب عليهم لزوم الجماعة، وتحذرهم من الشذوذ والفرقة؛ لأن الافتراق وصف مذموم في الشرع الحنيف، قال تعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ» (الأنعام ١٥٩)، وقد نهى الله تعالى عنه نهيًا مطلقًا كما قال: «وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟» (آل عمران ١٠٣)، وقال: «أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ» (الشورى: ١٣).

وقال تعالى: (وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ) (الأنفال: ٤٦).

أما الاختلاف فإنه قد يكون رحمة، وأهله معذورون، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والنزاع في الأحكام قد يكون رحمة إذا لم يُفْضِ إلى شر عظيم من خفاء الحكم، ولهذا صنف رجل كتابًا سماه: كتاب الاختلاف، فقال أحمد: سَمه كتاب السعة، وإن الحق في نفس الأمر واحد، وقد يكون من رحمة الله ببعض الناس خفاؤه، لما في ظهوره من الشدة عليه» (مجموع الفتاوى ١٤/١٥٩).

وقد وقع الخلاف بين أفضل قرون هذه الأمة من الصحابة والتابعين ولم يوجب افتراقًا ولا شقاقًا، ولذا لم يكن مذمومًا، وقد نقل الشاطبي جملة مما اختلف فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مما هو في باب الاجتهاد، ثم قال: «وغير ذلك مما اختلفوا فيه، وكانوا مع ذلك أهل مودة وتناصح، وأخوة الإسلام فيما بينهم قائمة، فلما حدثت الأهواء المردية التي حذر منها الرسول صلى الله عليه وسلم، وظهرت العداوات وتحزب أهلها، فصاروا شيعا وأحزابا؛ دلَّ على أنه إنما حدث ذلك من المسائل المحدثة التي ألقاها الشيطان على أفواه أوليائه» (الاعتصام ٢/٢٣١).

ويقول ابن تيمية: وأما الاختلاف في الأحكام، فأكثر من أن ينضبط، ولو كان كلما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا لم يبق بين المسلمين عصمة ولا أخوة، ولقد كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما سيدا المسلمين يتنازعان في أشياء لا يقصدان إلا الخير. (مجموع الفتاوى: ٢٤/١٧٣).

ويقول شيخ الإسلام-رحمه الله-: "وهذا التفرق الذي حصل من الأمة علمائها ومشايخها، وأمرائها وكبرائها، هو الذي أوجب تسلط الأعداء عليها.. وإذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا، وإذا اجتمعوا أصلحوا وملكوا؛ فإن الجماعة رحمةٌ والفرقة عذاب" (مجموع الفتاوى ٣/٤٢١).

أما الخلاف فإنه لا يُذم متى كان في المسائل

التي يسوغ فيها الاجتهاد وإبداء الرأي، وهو ما لا يعارض قاطعا من الكتاب والسنة وإجماع الأمة. سواء من مسائل العلم أو أوضاع الدعوة وأحوال العمل.

ويلخص ابن القيم المعنى الذي نريد بقوله: "وقوع الاختلاف بين الناس أمر ضروري لا بد منه لتفاوت إرادتهم وأفهامهم وقوى إدراكهم، ولكن المذموم بغي بعضهم على بعض وعدوانه، وإلا إذا كان الاختلاف على وجه لا يؤدي إلى التباين والتحزب، وكل من المختلفين قصده طاعة الله ورسوله؛ لم يضر ذلك الاختلاف، فإنه أمر لا بد منه في النشأة الإنسانية" (الصواعق المرسلة ٢/٥١٩).

قواعد التعامل مع المخالف:

ولتحصيل الأخوة الايمانية واجتماع الكلمة ونبذ الفرقة وسائل يمكن استلهامها واستنباطها من النصوص الشرعية والأقوال السلفية منها:

القاعدة الأولى: الإنصاف ونَبْذ التعصُّب:

فمَن تقصَّى من أحوال الأمة أخبارَها، وسَبَر بفكره أغوارَها، ألفَى أن كثيرًا من مظاهر التشرذُم، وانتفاش الباطل، مَردُّ شطر كبير منها إلى تغييب العدل والإنصاف، والركون إلى الهوى والإجحاف.

وما تَقذف به بعض المطابع من أسفار، وما يجري عبر وسائل التواصل، شَنَّ بها أصحابها هجومًا ضاريا على قضايا الاختلاف، من خلال كتب ومقالات وخطب وبيانات عبر الفضائيات تقطر غيبة ونميمة وتبديعًا وتفسيقًا وتجريحًا للأبرياء من الدعاة وأهل العلم، تَشهد ناطقةً بنعي الإنصاف، ونُدرة أهله الأشراف، "وصدق مالك بن دينار يوم أن قال: "ليس في الناس شيءٌ أقل من الإنصاف"، وقال جعفر بن سعد: "ما أقلَّ الإنصاف! وما أكثر الخلاف!" (الآداب الشرعية؛ لابن مفلح ٢/١٨٨).

وكما قال المتنبي:

وَلَم تَزَل قِلَّةُ الإنصافِ قاطِعَةً
بَينَ الرِجالِ وَلَو كانوا ذَوي رَحِمِ

لذلك فإن تاج الأوصاف، التي ينبغي أن يُتَحلَّى بها في لُجَج الخلاف، خُلُقُ العدل والإنصاف. فإنَّ صدق التجرُّد في طلب الحق، والإنصاف في استبيان سبيله، لا يتم لعبد إلا إذا تخلص من أردية التعصُّب الأعمى؛ سواء تعصَّب لرأيه أو لرأي متبوعه؛ فإن التعصُّب يُعمي ويُصمُّ عن الهدى، ويقعُد بذَويه عن اتِّباع الحق، وقلَّ أن تجدَ متعصِّبًا إلاَّ وهو يتقلَّب في سلسلة من الآفات، فهو يرى محاسن ما يَستحسنه من رأيه ومذهبه، ويعمى عن مساوئه، ولا يرى نقده- ولو بالأدلة- إلاَّ ضربًا من الحسد، كما يعتقد أن تعصُّبَه لرأيه ثباتٌ على الحق، والدفاع عن فَهمه للدليل انتصار للدليل، ويظنُّ الاطلاع على أدلة مخالفه تعرُّضًا للشبه، ويَنشغل بإشهار مذهبه عن إمعان التثبُّت والمراجعة لأفكاره. (ركائز الإنصاف، ص٣٣ بتصرف).

والذي يُمليه صدق التديُّن وتقوى الله على كلِّ عبد، هو القول بالحق على مقتضى العدل والإنصاف لا يَعُوقُه عنه إن كان له أو عليه؛ يقول الله- تبارك وتعالى-: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (النساء: ١٣٥).

هذه الآية العظيمة احتوَت معالمَ الحق، ودلَّت على موازين العدل، التي لا يتأخَّر نفعُها عمَّن تدبَّرها، فعَمل بها، فهي من المُنجيات من مَقيت التعصُّب؛ يقول- سبحانه-: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ﴾ (النساء: ١٣٥)؛ أي: بالعدل وقول الحق الذي قامت به براهينه، ﴿شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ (النساء: ١٣٥)، الشهادة بالحق تكون لله- سبحانه- ابتغاءَ مَرضاته، لا انتصارًا للنفس أو العالم المتبوع، ﴿وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ (النساء: ١٣٥)؛ أي: اشهَد الحقَّ ولو عاد ضررُها عليك، وإذا سُئلت عن الأمر فقل الحقَّ فيه".

﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ﴾ (النساء: ١٣٥) من حظوظ النفس بالتعصُّب لها أو لقريب، أو لشيخٍ حبيبٍ؛ لأن ذلك يَحبسكم عن ﴿ أَن تَعْدِلُوا ﴾ (النساء: ١٣٥)، ﴿وَإِن تَلْوُوا﴾ (النساء:

١٣٥)؛ أي: تحرّفوا،(أَوْ تُعْرِضُوا) (النساء: ١٣٥) عنها بالكتمان، (فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) (النساء: ١٣٥)، وسيُجازيكم بذلك. (تفسير ابن كثير ٢/٤٣٣).

وقال تعالى: «وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ » (المائدة: ٨)، ومن الإنصاف والعدل فيهم قبول ما عندهم من الحق، قال شيخ الإسلام- رحمه الله-: "وهذه الآية نزلت بسبب بغضهم للكفار، وهو بغضٌ مأمور به، فإن كان البغض الذي أمر الله به قد نهى صاحبه أن يظلم من أبغضه، فكيف في بغض مسلم بتأويل وشبهة أو بهوى نفس فهو أحق أن لا يظلم"(منهاج السنة (٥/١٢٧)).

وعن عبدالله بن عمرو قال: قال صلى الله عليه وسلم: "إنَّ المُقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن-وكلتا يديه يَمِين- الذين يَعدلون في حُكمهم وأهليهم، وما وَلُوا" (رواه مسلم:٤٨٢٥).

وقال عمار رضي الله عنه: "ثلاث مَن جمعهنَّ، فقد جمَع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبَذْل السلام للعالَم، والإنفاق من الإقتار" (رواه البخاري معلقا؛ انظر صحيح البخاري مع الفتح١/٨٣).

وقال ابن القيم- رحمه الله-: في كتابه «إعلام الموقعين» (٣/٤٩٧): «والله تعالى يحب الإنصاف، بل هو أفضل حلية تحلّى بها الرجل، خصوصاً مَنْ نَصَّب نفسه حكماً بين الأقوال والمذاهب، وقد قال الله تعالى لرسوله: «وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ» (الشورى:١٥)؛ فورثة الرسول منصبهم العدل بين الطوائف، وألا يميل أحدهم مع قريبه وذوي مذهبه وطائفته ومتبوعة، بل يكون الحق مطلوبة، يسير بسيره، وينزل بنزوله، يدين بدين العدل والإنصاف...".

قال ابن عبد البر رحمه الله: "من بركة العلم وآدابه: الإنصاف فيه، ومَن لَم يُنصف، لَم يَفهم ولَم يتفهَّم" (جامع بيان العلم و فضله: ١/٢٥٨).

فالمقرَّر: أنَّ المعيار وقاعدة الاعتبار في قبول الأقوال وترجيح الاجتهادات، هو قَفْو الدليل، والسَّير على مسار الحُجَّة، مع التغاضي عن منازل القائلين بها ورُتَبهم؛ تجرُّدًا للحق المبين، وتحرُّرًا من التعصُّب المَقيت؛ كما قال ابن تيميَّة- رحمه الله-: "ولا يجوز لأحد أن يرجِّح قولاً على قول بغير دليل، ولا يتعصَّب لقول على قول، ولا لقائل على قائل بغير حُجَّة" (إقامة الدليل على إبطال التحليل٢/٢١٥).

فالمُنصف مَن يَحفظ لأهل العلم مكانتهم دون أن يجعل لها دخلاً في وزان الآراء، ويَستحضر أن العبرة ليستْ بقدر القائل، ولكن العِبرة بما ساق من دلائل، ورَحم الله الألباني إذ قال: "الحق يُعرف بنوره ودلائله، لا بحاكيه وقائله، عند أهل الإنصاف، وليس عند ذَوي التعصُّب والاعتساف" (فقه الواقع؛ للمحدِّث الألباني رحمه الله تعالى، ص ٤).

نصيحة في فقه التعامل مع المخالف من الأفراد والجماعات والطوائف:

بعدما اتضح لنا مما سبق من حديث عن فضيلة الإنصاف وأهمية التخلق به في جمع الكلمة وقطع جذور الفرقة والفتنة بين أبناء الأمة أقول: اعلموا رحمكم الله أن الإنصاف يقتضي ويوجب علينا قبول الحق ممن جاء به لكونه موافقاً للدليل، مُؤيَّداً بالبراهين، ولا أثر لقائله- كائنًا من كان- في قبوله أو رفضه، ولهذا كان أهل السنة يقبلون ما عند جميع الطوائف من الحق، ويردون ما عندها من الباطل، بغض النظر عن المُوالي منها أو المُعادي.

قال تعالى: «فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ » (البقرة: ٢١٣)، وفي دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: (... اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم) (رواه مسلم ٧٧٠).

وقال ابن القيم رحمه الله: "فمن هداه الله سبحانه إلى الأخذ بالحق حيث كان، ومع من كان، ولو كان مع من يبغضه ويعاديه، ورد الباطل مع من كان، ولو كان مع من يحبه ويواليه، فهو ممن هدى الله لما اختلف فيه من الحق" (الصواعق المرسلة ٢/٥١٦).

"فعلى المسلم أن يتَّبع هَدْيَ النبي صلى الله عليه وسلم في قبول الحق ممن جاء به من وَليٍ وعدو، وحبيب وبغيض، وبَرٍّ وفاجر، ويَرُدَّ الباطل على مَن قاله كائنًا مَن كان" (إعلام الموقعين ١/١٠٤).

وقد علمنا ربنا في القرآن ذلك حين ساق كلام ملكة سبأ - وقت كفرها- ثم وافقها عليه، قال تعالى - عنها-: « قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ » (النمل: ٣٤).

ولما دل الشيطان أبا هريرة رضي الله عنه إلى آية الكرسي لتكون له علاجاً وحرزًا من الشيطان، وذلك مقابل فكه من الأسر، قال له النبي صلى الله عليه وسلم: "صدقك وهو كذوب" (رواه البخاري ٢٣١١).

ولهذا قال شيخ الإسلام رحمه الله مبيناً منهجه في التعامل مع طوائف المخالفين له من أهل الكلام وغيرهم: (وليس كل من ذكرنا شيئًا من قوله - من المتكلمين وغيرهم- يقول بجميع ما نقوله في هذا الباب وغيره، ولكن الحق يقبل من كل من تكلم به) (مجموع الفتاوى ٥/١٠١).

وقال موضحاً الميزان الدقيق في التعامل: "إذا اجتمع في الرجل الواحد: خير وشر، وبر وفجور، وطاعة ومعصية، وسنة وبدعة، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة.... هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة، وخالفهم الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم فلم يجعلوا الناس الامستحقا للثواب فقط أو مستحقًا للعقاب فقط" انتهى (مجموع الفتاوى: ٢٨/٢٠٨).

وقال أيضًا: «وانه كثيرًا ما يجتمع في الفعل الواحد، أو في الشخص الواحد الأمران: كالذم والنهي، والعقاب قد يتوجه إلى ما تضمنه أحدهما فلا يغفل عما فيه من النوع الآخر، وقد يمدح الرجل بترك بعض السيئات البدعية، ولكن يسلب مع ذلك ما مدح به غيره على فعل بعض الحسنات السنية، فهذا طريق الموازنة والمعادلة، ومن سلكه كان قائمًا بالقسط الذي أنزل الله له الكتاب الميزان». (مجموع الفتاوى: ١٠/٣٦٦).

ولذلك "كان أئمة السلف المُجمع على علمهم وفضلهم، يَقبلون الحقَّ ممن أورَده عليهم، ويوصون أصحابهم وأتباعَهم بقَبول الحق إذا ظهَر في غير قولهم" (الفرق بين النصيحة والتعيير/ابن رجب ص٣).

وفي الختام بعد ذلك نقول: لا يصح ولا يجوز بأي حال لجماعة أو طائفة أن تجعل كل همها واهتمامها بتشويه أخرى غيرها وتجريحها، بمناسبة وغير مناسبة، وكأنها منبع لكل شر، ومصدر لكل جور، وليس فيها من الخير شيء، وهذا من الظلم والعدوان، ولا يُرضي الواحد الديان، بل هو اتباع لخطوات الشيطان والطريق إلى الخسران، ثم هم في المقابل لطائفتهم يتعصبون، وعن أقوال قادتهم ينافحون، ولأخطائهم يبررون، وكأنهم معصومون، ومن كل عيب مبرؤون، أما غيرهم فلأخطائهم يجسدون وبالضوء عليها يسلطون، وبأصحابها يشنعون، وكأنهم مجرمون، وهذا من أعظم الغرور والزور الذي ابتلينا به في هذه العصور، وإزكاء للفتن والصراعات والشرور، مما ينذر بعواقب وخيمة، وبلايا جسيمة على البلاد والعباد.

فكن منصفًا وتمسك بالحق: «دون أن تجور»، وخذ من كل طائفة ما معها من الحق فإن الحق عليه نور، ولا تتعصب لطائفة على الإطلاق، فإن التعصب ممقوت ومذموم ومشؤوم، ودر مع الحق حيث دار، مقتفيا منهج الأخيار، فالحق لا يعرف بالرجال، ولكن اعرف الحق تعرف أهله، ولا تنس أنك بين يدي الله مسئول.

وفي ذلك سلوك لسبيل المؤمنين في التعامل مع طوائف المخالفين، ونجاة لك يوم الدين، يوم يقوم الناس لرب العالمين، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، والحمد لله رب العالمين.



باب فقه المرأة المسلمة

باب الطهارة

(الحلقة الرابعة)

إعداد د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فقد كان موضوع الحلقة السابقة عن بيان أنواع الدماء الخارجة من المرأة، وقد ذكرنا تعريف الحيض، وألوانه، ومدته، وبقي بيان الأحكام المتعلقة بالحيض.

ولا يخفى أن معرفة المرأة للأحكام المتعلقة بالحيض من الأهمية بمكان؛ حيث تتعلق هذه الأحكام بالطهارة، والصلاة، وقراءة القرآن، وغير ذلك من الأحكام.

أولاً: نجاسة دم الحيض:

دم الحيض: نجس، والدليل على نجاسته، ما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت، جاءت فاطمة بنت أبي حبيش، إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، إني امرأة أستحاض فلا أطهر، أفأدع الصلاة؟ فقال: «لا، إنما ذلك عرق وليس بالحيضة فإذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة، وإذا أدبرت فاغسلي عنك الدم وصلي». أخرجه البخاري (٢٢٨)، ومسلم (٣٣٣).

فقوله صلى الله عليه وسلم (فاغسلي عنك الدم) دليل على نجاسة دم الحيض.

قال الشوكاني في نيل الأوطار (٥٨/١):

«واعلم أن دم الحيض نجس بإجماع المسلمين»

ثانياً: كيفية تطهير دم الحيض:

عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت: سألت امرأة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله أرأيت إحدانا إذا أصاب ثوبها الدم من الحيضة كيف تصنع؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا أَصَابَ ثَوْبَ إِحْدَاكُنَّ الدَّمُ مِنَ الحَيْضَةِ فَلْتَقْرُصْهُ، ثُمَّ لِتَنْضَحْهُ بِمَاءٍ، ثُمَّ لِتُصَلِّي فِيهِ» أخرجه البخاري (٣٠٧) ومسلم (٢٩١).

وعن عائشة قالت: «كَانَتْ إِحْدَانَا تَحِيضُ، ثُمَّ تَقْرُصُ الدَّمَ مِنْ ثَوْبِهَا عِنْدَ طُهْرِهَا فَتَغْسِلُهُ وَتَنْضَحُ عَلَى سَائِرِهِ، ثُمَّ تُصَلِّي فِيهِ». صحيح البخاري (٣٠٧).

قال ابن بطال في فتح الباري (٤٨٩/١): «حديث عائشة يفسر حديث أسماء، وأن المراد بالنضح في حديث أسماء الغسل، وأما قول عائشة: «وَتَنْضَحُ عَلَى سَائِرِهِ» فإنما فعلت ذلك دفعًا للوسوسة.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «مَا كَانَ لإِحْدَانَا إِلاَّ ثَوْبٌ وَاحِدٌ تَحِيضُ فِيهِ، فَإِذَا أَصَابَهُ شَيْءٌ مِنْ دَمٍ قَالَتْ بِرِيقِهَا، فَقَصَعَتْهُ بِظُفْرِهَا» أخرجه البخاري (٣١٢).

قال الحافظ في الفتح (٤٩٢/١): وإنما أزالت الدم بريقها ليذهب أثره ولم تقصد تطهيره وقد مضى قبل بباب عنها ذكر الغسل بعد القرص قالت: «ثُمَّ تُصَلِّي فِيهِ» فدل على أنها عند إرادة الصلاة فيه كانت تغسله. وقولها في حديث الباب: «قَالَتْ بِرِيقِهَا» من إطلاق القول على الفعل، وقولها: «فَقَصَعَتْهُ» أي حكته وفركته بظفرها، والقصع: الدلك.

ثالثاً: طهارة سؤر الحائض وعرقها وسائر جسدها:

السؤر: بقية الشيء، يقال آسار فلان من طعامه وشرابه، وذلك إذا أبقى بقية؛ قال: وبقية كل شيء

سؤره- لسان العرب (٣٤٠/٤).

سؤر الحائض ودمعها وعرقها وجميع جسدها طاهر، وقد جاءت أحاديث كثيرة دالة على ذلك أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

الدليل الأول: عن عائشة- رضي الله عنها- قالت: «كُنْتُ أَشْرَبُ وَأَنَا حَائِضٌ، ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ، فَيَشْرَبُ، وَأَتَعَرَّقُ الْعَرْقَ وَأَنَا حَائِضٌ، ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ»- أخرجه مسلم (٣٠٠)، والنسائي (٧٠). العرق: العظم الذي عليه اللحم.

قال الشوكاني في نيل الأوطار (٣٤٩/١): «والحديث يدل على أن ريق الحائض طاهر ولا خلاف فيه فيما أعلم، وعلى طهارة سؤرها من طعام أو شراب ولا أعلم فيه خلافًا».

قال الملا القاري في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤٩٤/٢): «وهذا يدل على جواز مؤاكلة الحائض ومجالستها، وعلى أن أعضاءها من اليد والفم وغيرهما ليست بنجسة».

الدليل الثاني: عن أنس رضي الله عنه أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها، ولم يجامعوهن في البيوت فسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾ (البقرة: ٢٢٢) إلى آخر الآية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح» فبلغ ذلك اليهود، فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئًا إلا خالفنا فيه. صحيح مسلم (٣٠٢).

قال الصنعاني في سبل السلام (١٥٤/١): «إن المأمور به من الاعتزال، والمنهي عنه من القربان هو النكاح: أي اعتزلوا نكاحهن، ولا تقربوهن له، وما عدا ذلك من المواكلة والمجالسة والمضاجعة وغير ذلك جائز».

الدليل الثالث: عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخرج إليَّ رأسه من المسجد، وهو مجاور، فأغسله وأنا حائض». صحيح البخاري (٣٠١) وصحيح مسلم (٢٩٧).

قال الحافظ في فتح الباري (٤٠٢/١): «وهو دالّ على أن ذات الحائض طاهرة وعلى أن حيضها لا يمنع ملامستها».

الدليل الرابع: وعن عائشة قالت: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أناوله الخمرة من المسجد فقلت: إني حائض، فقال: «تَنَاوَلِيهَا فَإِنَّ الْحَيْضَةَ لَيْسَتْ فِي يَدِكِ» أخرجه مسلم (٢٩٨).

وفي رواية أبي هريرة، فقال: «يَا عَائِشَةُ، نَاوِلِينِي الثَّوْبَ فَقَالَتْ: إِنِّي حَائِضٌ، فَقَالَ: إِنَّ حَيْضَتَكِ لَيْسَتْ فِي يَدِكِ»- أخرجه مسلم (٢٩٩).

الدليل الخامس: عن سلمة بن عبد الرحمن، أن زينب بنت أم سلمة حدثته أن أم سلمة، حدثتها قالت: بينما أنا مضطجعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخميلة، إذ حضت، فانسللت، فأخذت ثياب حيضتي فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنفست؟» قلت: نعم، فدعاني فاضطجعت معه في الخميلة. قالت: «وكانت هي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسلان في الإناء الواحد، من الجنابة» صحيح مسلم (٢٩٦).

(الخميلة) قال أهل اللغة الخميلة والخميل بحذف الهاء هي القطيفة، وقيل هي الأسود من الثياب. (انسللت) أي ذهبت في خفية. (ثياب حيضتي) أي الثياب المعدة لزمن الحيض. (أنفست) المشهور في اللغة أن نفست معناه حاضت وأما في الولادة فقال نفست، وأصل ذلك كله خروج الدم، والدم يسمى نفسا. شرح النووي (٢٠٦/٣، ٢٠٧).

قال النووي في شرح مسلم (٢٠٧/٣): « فيه جواز النوم مع الحائض والاضطجاع معها في لحاف واحد إذا كان هناك حائل يمنع من ملاقاة البشرة فيما بين السرة والركبة أو يمنع الفرج وحده عند من لا يحرم إلا الفرج».

رابعًا: تحريم وطء الحائض:

(تحرير محل النزاع)

١- اتفق الفقهاء على تحريم وطء الحائض في فرجها- البحر الرائق (٢١٣/١)، بداية المجتهد (٦٢/١)، الحاوي الكبير (٣١٣/٩)، المغني (٢٢٣/١)، المحلى بالآثار (٤٠٢/١): قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾ (البقرة: ٢٢٢).

قال ابن حزم في مراتب الإجماع (ص:٦٩): «واتفقوا إن وطء الحائض في فرجها ودبرها حرام». ا.هـ.

٢- اتفق الفقهاء أيضًا على أن المباشرة فيما فوق السرة وتحت الركبة حلال؛ للأحاديث الصريحة في ذلك.

٣- واختلفوا في مباشرة الحائض فيما بين السرة

والركبة على قولين:

القول الأول: يحرم الاستمتاع فيما بين السرة والركبة، وأن المباشرة تكون فيما فوق الإزار، وإليه ذهب أبو حنيفة وأبو يوسف من الحنفية- (تبيين الحقائق ٥٧/١)، والمالكية- (حاشية الدسوقي ١٧٣/١)، والشافعية (الأم ٧٦/١).

واستدلوا بما يأتي: الدليل الأول: ما روي عن عائشة قالت: «كَانَتْ إِحْدَانَا إِذَا كَانَتْ حَائِضًا، فَأَرَادَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم أَنْ يُبَاشِرَهَا « أَمَرَهَا أَنْ تَتَّزِرَ فِي فَوْرِ حَيْضَتِهَا ثُمَّ يُبَاشِرُهَا، قَالَتْ: وَأَيُّكُمْ يَمْلِكُ إِرْبَهُ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَمْلِكُ إِرْبَهُ؟». أخرجه البخاري (٣٠٢)، ومسلم (٢-٢٩٣).

تَتَّزر: معناه تشد إزارًا تستر سرتها وما تحتها إلى الركبة فما تحتها.

فور حيضتها: أي الحيض أوله ومعظمه.

إربه: أي حاجته وهي شهوة الجماع. فتح الباري (٤٠٤/١).

الدليل الثاني: عن ميمونة، قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم يُبَاشِرُ نِسَاءَهُ فَوْقَ الْإِزَارِ وَهُنَّ حُيَّضٌ»- أخرجه مسلم (٢٩٤)، وأبو داود (٢١٦٧).

قال ابن حجر في فتح الباري (٤٠٤/١): «والمراد أنه صلى الله عليه وسلم كان أملك الناس لأمره فلا يخشى عليه ما يخشى على غيره من أن يحوم حول الحمى، ومع ذلك فكان يباشر فوق الإزار تشريعًا لغيره ممن ليس بمعصوم».

وتعقب: بأن منع الوطء إنما هو لأجل الأذى، فاختص مكانه كالدبر، وهذا الحديث دليل على حل ما فوق الإزار، لا على تحريم غيره، وقد يترك النبي- صلى الله عليه وسلم- بعض المباح تقذرًا، كتركه أكل الضب والأرنب. المغني (٢٤٣/١).

قال الشافعي في الأم (١٢٩/١): «ودلت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعتزال ما تحت الإزار منها وإباحة ما سوى ذلك منها».

قال مالك في المدونة الكبرى(١٥٣/١): «قال مالك في الحائض لتشد عليها إزارها ثم شأنه بأعلاها. قلت: ما معنى قول مالك ثم شأنه بأعلاها؟ قال: سئل مالك عن الحائض أيجامعها زوجها فيما دون الفرج فيما بين فخذيها؟ قال: لا ولكن شأنه بأعلاها».

القول الثاني: جواز مباشرة الحائض كيف شاء دون الجماع في الفرج، وإليه ذهب محمد من الحنفية- (تبيين الحقائق ٥٧/١)، والحنابلة (المغني ٢٤٢/١) وابن حزم- (المحلى ٣٩٥/١).

واستدلوا بما يأتي: الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِۖ ﴾ (البقرة: ٢٢٢).

قال ابن قدامة في المغني (٢٤٢/١): والمحيض اسم لمكان الحيض وهو الفرج؛ ولو أنه أراد بالمحيض الحيض لكان أمرًا باعتزال النساء في مدة الحيض بالكلية، والإجماع بخلافه، والذي يدل على أن هذا التفسير أصح أن سبب نزول الآية ما روي عن أنس رضي الله عنه أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها، ولم يجامعوها في البيوت، فسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِۖ ﴾ (البقرة: ٢٢٢) إلى آخر الآية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح» فبلغ ذلك اليهود، فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئًا إلا خالفنا فيه- صحيح مسلم (٣٠٢) وهذا تفسير لمراد الله تعالى، ولا تتحقق مخالفة اليهود بحملها على الحيض؛ لأنه يكون موافقًا لهم.

قال ابن حزم في المحلى (٣٩٥/١): «وللرجل أن يتلذذ من امرأته الحائض بكل شيء، حاشا الإيلاج في الفرج».

الدليل الثاني: قوله صلى الله عليه وسلم: «اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلاَّ النِّكَاحَ»-أخرجه مسلم (٣٠٢).

قال ابن حزم في المحلى (٣٩٩/١): «فكان هذا الخبر بصحته، وبيان أنه كان إثر نزول الآية هو البيان عن حكم الله تعالى في الآية، وهو الذي لا يجوز تعديه، وأيضًا فقد يكون المحيض في اللغة موضع الحيض وهو الفرج، وهذا فصيح معروف، فتكون الآية حينئذ موافقة للخبر المذكور، ويكون معناها: فاعتزلوا النساء في موضع الحيض». ا.هـ.

الراجح: بعد عرض أقوال الفقهاء وأدلتهم، أرى أن الصواب ما ذهب إليه جماهير العلماء من أن المباشرة إنما تكون فيما فوق الإزار، وذلك لأسباب: منها أنه فعل النبي صلى الله عليه وسلم- كما تقدم من حديث عائشة وميمونة رضي الله عنهما-، ومنها أن هذا القول أقرب للتقوى وأبعد عن الوقوع في المحظور، والله تعالى أعلم.

الطلاق والتفكك الأُسري

رابعًا: تتبُّع الأسرار والعورات

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

لقد أباح الإسلام الطلاق كما أباح الزواج، لكنه شدَّد في طلب الطلاق بغير بأس، ولأسباب واهية، ذلك لأن الطلاق آثاره في الغالب مضرة للزوجين، خاصة في حالة وجود أولاد، وخاصة مع رقة الدين، وضعف الإيمان، وغياب التدين والوازع الديني. أما في حالة الاضطرار إلى التفريق بين الزوجين فلا جناح عليهما، وقد قال الله تعالى: « وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ اللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا » (النساء: ١٣٠).

إعداد جمال عبد الرحمن

ولقد انتشرت ظاهرة الطلاق انتشار النار في الهشيم، سواء قبل الدخول أو بعده، والواقع المشاهد أقوى دليل على ذلك، وقد ذكرنا في العدد الماضي السبب الثالث من أسباب وقوع الطلاق والتفكك الأسري، وهو المفاهيم الخاطئة وقلة الوعي والخبرة، وفي هذا المقال نذكر السبب الرابع، وهو تتبع الأسرار والعورات مما ينتج عنه فقدان الثقة.

لا شك أن ما يموج به الواقع من مخالفات شرعية يضجُّ بها المجتمع ويعج، كالاختلاط بين الرجال والنساء في معظم الأماكن في جميع مراحل العمر، وكذلك تبرج النساء تبرجًا أشد من تبرج الجاهلية الأولى، وتفنن تلك النسوة في إبداء زينتهن ومفاتنهن ومحاسنهن، وكذلك الصداقات الكثيرة بين الشباب والفتيات، والرسائل المتبادلة بينهم والصور، ووجود رسائل الاتصال السهلة جدًا، والتي سهلت الاتصال وتحديد المواعيد، وإرسال الصور التي لا تباح في الأصل إلا بين الأزواج، والتحدث في الهاتف الدقائق والساعات، وغير ذلك من آفات؛ كمشاهدة مواقع العري والدعارة واللواط والزنا والإباحية، وسائر المنكرات، كذلك ما يعرفه الشاب عن الشابة، وهي أيضًا تعرف ذلك عنه في أغلب الأحوال، مما جعل الشباب لا يثق في الفتيات، ولا الفتيات تثق في الشباب، فانعدم الأمان، وصار الأصل بينهم الشك، والذي يخطب امرأة يخامره الارتياب فيها، وهي كذلك، كلاهما يقول في نفسه: من المؤكد أنه كان هناك علاقة سابقة مع غيري، لكنهم يسكتون خاصة إذا تراءى لهما أن يتزوجا.

فإذا تزوجا كان الزوج في قلق، فيسأل زوجته، هل كان لك علاقات سابقة مع أحد؟ وإن كان مازال في فترة الخطوبة سألها، هل خطبك أحد غيري؟ ولماذا تركك؟

وهذا لا شك أنه من المخالفات الشرعية، فلا يجوز له مثل هذه الأسئلة، والله تعالى يقول: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ » (المائدة:١٠١)، ثم إن هذا من تتبع العورات، والبحث عن الزلات، وقد منع الإسلام من ذلك.

فقد أخرج الترمذي (ح٢٠٣٢) بسند حسن من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يا معشر من آمن بلسانه، ولم يفضِ الإيمان إلى قلبه: لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورات المسلمين، تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته فيفضحه ولو في جوف رحله».

وعلى الزوجة ألا تسترسل مع زوجها في هذه الأسئلة والأجوبة.

وبعض الأزواج تصل به الصفاقة إلى أن يُحلف زوجته أنها ليس لها علاقات سابقة، ومنهم من يقول لها: لو كان لك علاقة حب قديمة وأخفيتيها عني فأنت طالق، وتعيش المسكينة متحيرة بين نارين، إن أخفت فهي طالق، وإن أبدت فهي طالق أيضًا.

ومن البديهي أن الزوجة لو أخبرت زوجها عن فشل تجربة سابقة لها أو خطبة مضت مع خطيبها؛ فلن تعيب نفسها، ولو كان العيب عندها، بل ستضطر إلى انتقاص صاحبها وعيبه وغيبته، وكل هذا حرام.

وقد يحدث أن يتمادى الزوج في الأسئلة حتى يبدو له ما يسيئه، وربما دفعه ذلك لكراهية زوجته ثم بعد ذلك يطلقها.

خامسًا: كثرة التهديد بالطلاق والحلف به:

لقد عظّم الله تعالى شأن الطلاق، وجعله حدًا من حدوده، فقال جل شأنه: «وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ» (البقرة:٢٢٩)، وقال: «وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» (البقرة:٢٣٠).

وقد جُعل الطلاق حلاً ومخرجًا من مسئولية النكاح إذا تعذرت سبل البقاء، وانغلقت أمام الزوجين طرق الإصلاح بعد بذل المحاولات، واستنفاذ الوسائل، لعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا، حينئذ يطلق ممتثلاً أمر الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ» (الطلاق:١).

لكن الكثيرين من السفهاء والحمقى جعلوا الطلاق سلاحًا يشهرونه دائمًا في وجوه نسائهم، يعالجون به ضعف شخصياتهم، أو يحمون به قراراتهم، أو هو نوع من الكِبر والغطرسة والغرور، والغريب في ذلك تفاهة وحقارة الأمور التي تدعوهم إلى ذلك، فزوجته طالق إذا خرجت، أو إذا دخلت، أو إذا ذهبت عند أهلها، أو إذا جاء أحد من أهلها إليها، أو إذا أدخلت بيته أي هدية أو طعام أو زيارة جاءتها من أهلها.

وذاك يطلق زوجته لتأخرها في كي ثوبه، أو في تجهيز طعامه، أو لأن الطفل بكى فأيقظه من نومه وهكذا. فيتوالى التهديد بالطلاق حتى تحرم الزوجة ويتحتم الفراق، ثم يفيق الزوج على خراب البيت وحرمانه من امرأته، ويبدأ ويسعى مهزومًا مكسورًا في البحث عن مخرج وهيهات هيهات، ذهب إلى الطلاق كالأسد الهيَّاج، ورجع منه كأهزل النعاج.

ومن مهازل تلك الفئة المستهترة أن يرسل لزوجته بخطاب يحمله ولده الصغير ليوصله إلى أمه، أو يكتبه في رسالة هاتف لزوجته، فالطلاق وسيلة إغاظة وانتقام وطريق لإثبات الرجولة كما يتصور بعضهم.

ومسكين في عقله ذلك الزوج المغترب الذي سافر إلى بلد يسترزق فيه، يطلب لقمة العيش، مسكين حينما يطلق زوجته إثر مكالمة هاتفية مع طول الغربة وبُعد الشقة، فتكون هديته أهله في زمن غربتهم وطول صبرهم كلمات الطلاق؛ لأنهم خالفوه في أمر في بيته أو لم يكلموه كما يريد، فَبُعْدُهُ في بَدَنِه لم يبعد أذيته لأهله.

وما ظن هذا المطلق لأهله في زمن الفتن، وطول العهد، ما ظنّه بعد إسماعهم ما يكرهونه؟! خاصة إذا مضى في الطلاق بغير رجعة، وهي ترعى له بعض أولاده وهم في حضانتها، فلا هي بقيت مع ذلك البعيد في سفره وعقله، ولا هي مؤهلة اجتماعيًا للزواج وهي تحتضن في حضانتها طفلاً أو طفلين أو أكثر.

لا شك أن الجهل والحمق وسوء التربية تنتج كل هذه التصرفات الحمقاء. وللحديث بقية إن شاء الله.

دراسات شرعية

أثر السياق في فهم النص

تنوع قرائن السياق وأثره على الأحكام الفقهية

الحلقة ٩٧

حجاب المرأة المسلمة (٧)

إعداد/ د/ متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد: فما يزال حديثنا متصلاً عن آيات الحجاب، وفي الحلقة السابقة وصلنا إلى الآية الخامسة من آيات الحجاب، وهي قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا) (الأحزاب: ٥٩)، فذكرنا أقوال بعض قدامى المفسرين في الآية، وتوقفنا عند تفسير الطبري لننظر في الأقوال التي نقلها عن أهل التأويل.

القول الأول: أن الإدناء هو تغطية الوجه وعدم إبداء إلا عينا واحدة، ورأينا أسانيد هذا القول:

أ- عن ابن عباس رضي الله عنهما، فرأينا ضعف هذا الأثر، وعلته الانقطاع بين علي بن أبي طلحة وابن عباس.

ب- عن عبيدة السلماني يرحمه الله - وسنده صحيح إلى عبيدة، لكنه مقطوع (موقوف على عبيدة السلماني) وهو تابعي.

ج- عن عبيدة - أيضًا- وهو كسابقه موقوف عليه.

القول الثاني: أن الإدناء هو شد الجلباب على الجباه، وأسانيد هذا القول:

أ- عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهذا رأيناه في الحلقة السابقة، أن سند هذا الأثر شديد الضعف، فهو مسلسل بالعوفيين وهم ضعفاء.

ونستكمل البحث بإذن الله تعالى.

ب - حدثني بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله: (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين) أخذ الله عليهن إذا خرجن أن يقنعن على الحواجب (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين)، وقد كانت المملوكة إذا مرت تناولوها بالإيذاء، فنهى الله تعالى الحرائر أن يتشبهن بالإماء.

- سند الأثر: بشر: هو ابن معاذ العقدي البصري، أكثر الطبري من الرواية عنه، (حيث زادت عدد رواياته عن ٣٤٢٣ رواية بإسناد واحد، عنه عن يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بن دعامة السدوسي) وهو صدوق (انظر تقريب التهذيب ١٢٤/١ت ٧٠٢).

يزيد: هو ابن أبي زريع: ثقة ثبت (انظر تقريب التهذيب ٦٠١/١ ت ٧٧١٣).

سعيد: هو ابن أبي عروبة: ثقة حافظ لكنه كثير التدليس واختلط، وكان من أثبت الناس في قتادة (انظر تقريب التهذيب ٢٣٩/١ ت ٢٣٦٥).

قال أحمد بن حنبل: كل شيء رواه يزيد بن زريع عن سعيد فلا تبال أن لا تسمعه من أحد، سماعه من سعيد قديم (قبل الاختلاط).

(انظر: الكامل في ضعفاء الرجال٤/٤٤٦) ذكره الحافظ ابن حجر في المرتبة الثانية من المدلسين، وهي من احتمل الأئمة تدليسهم، وأخرجوا لهم في الصحيح لإمامتهم وقلة تدليسهم في جنب ما رووا (انظر تعريف أهل التقديس ١/١٣، ٣١).

قتادة: هو ابن دعامة السدوسي: ثقة ثبت (انظر تقريب التهذيب ١/٤٥٣ ت ٥٥١٨)- فالإسناد حسن، لكنه موقوف على قتادة وهو تابعي.

ج- حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعًا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، قوله (يدنين عليهن من جلابيبهن) يتجلببن فيعلم أنهن حرائر فلا يعرض لهن فاسق بأذى من قول ولا ريبة.

سند الأثر- محمد بن عمرو بن العباس الباهلي (أبو بكر): ذكره ابن حبان في الثقات (٩/١٠٧)، ثقة (انظر تاريخ بغداد ٤/٢١٣).

- أبو عاصم: الضحاك بن مخلد (أبو عاصم النبيل): ثقة ثبت (انظر تقريب التهذيب ١/٢٨٠، ت ٢٩٧٧).

- عيسى: ابن ميمون الجرشي: ثقة (انظر تقريب التهذيب ١/٤٤١، ت ٥٣٣٤).

- الحارث: ابن أبي أسامة: قال الدارقطني: هو صدوق، وقال إبراهيم الحربي ثقة (انظر تاريخ بغداد ٩/١١٤).

- الحسن بن موسى الأشيب: ثقة (انظر تقريب التهذيب ١/١٦٤ ت ١٢٨٨٨).

ورقاء: ابن عمر بن كليب اليشكري: صدوق (انظر تقريب التهذيب ١/٥٨٠، ت ٧٤٠٣).

- ابن أبي نجيح: هو عبدالله أبو يسار الثقفي، ثقة رمي بالقدر، وربما دلّس (انظر تقريب التهذيب ١/٣٢٦ ت ٣٦٦)، وثقه جماعة من أهل العلم، وقال يحيى بن سعيد: لم يسمع ابن أبي نجيح التفسير من مجاهد رواه من غير سماع (انظر تهذيب التهذيب ٦/٥٤).

- مجاهد بن جبر: ثقة إمام في التفسير وفي العلم (انظر تقريب التهذيب ١/٥٢٠ ت ٦٤٨١).

فالأثر سنده حسن، وهو موقوف على مجاهد ابن جبر يرحمه الله.

د- حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عنبسة عمن حدثه عن أبي صالح قال: قدم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم المدينة على غير منزل، فكان نساء النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهن إذا كان الليل خرجن يقضين حوائجهن، وكان رجال يجلسون على الطريق للغزل، فأنزل الله: (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) يتقنعن بالجلباب حتى تعرف الأمة من الحرة، وقوله (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) يقول تعالى ذكره: إدناؤهن جلابيبهن إذا أدنينها عليهن أقرب وأحرى أن يعرفن ممن مررن به ويعلموا أنهن لسن بإماء فيتنكبوا عن أذاهن بقول مكروه أو تعرض بريبة.

وهذا الأثر ضعيف، ففي سنده محمد ابن حميد: محمد بن حميد الرازي: ضعيف (انظر المجروحين لابن حبان ٢/٣٠٣-٣٠٤).

- حكام: ابن اسلم الكناني: ثقة، قال أحمد بن حنبل: كان يحدث عن عنبسة أحاديث غرائب (انظر تهذيب الكمال ٧/٨٣ - ٨٥، تقريب التهذيب ١/١٧٤ ت ١٤٣٧).

- أبو صالح: باذام مولى أم هانئ: ضعيف مدلس (انظر تقريب التهذيب ١/١٢٠، ت ٦٣٤).

والأثر ضعيف.

خلاصة ما ذكرناه من آثار عن الطبري:

أولاً: الآثار في أن الإدناء هو تغطية الوجه:

١- أثر ابن عباس رضي الله عنهما: ضعيف.

٢- أثر عبيدة السلماني: سنده صحيح إلى عبيدة، لكنه موقوف على تابعي.

ثانيا: الآثار في الإدناء وهو شد الجلباب على الجباه

١-أثر ابن عباس: ضعيف.
٢-أثر قتادة: حسن، لكنه موقوف على تابعي.
٣-أثر مجاهد: حسن، لكنه موقوف على تابعي.
٤-أثر أبي صالح مولى أم هانئ رضي الله عنها: ضعيف.

فما ورد عن ابن عباس في القولين: تغطية الوجه، وشد الجلباب على الجباه: لم يصح سنده إليه.

صحة الآثار الواردة عن التابعين في كلا القولين، لكنها موقوفة عليهم، وليست مرفوعة.

تفسير الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ):

وفي تفسيره للآية قال:... لأن من تستر وجهها مع أنه ليس بعورة، لا يطمع فيها أن تكشف عورتها، فيعرفن أنهن مستورات. (انظر تفسير الفخر الرازي ١٨٤/٢٥).

تفسير القرطبي (ت ٦٧١هـ):

قال في تفسيره للآية:... واختلف الناس في صورة إرخائه (أي الجلباب) فقال ابن عباس وعبيدة السلماني: ذلك أن تلويه المرأة حتى لا يظهر منها إلا عين واحدة تبصر بها، وقال ابن عباس أيضًا وقتادة: ذلك أن تلويه فوق الجبين وتشده ثم تعطفه على الأنف وإن ظهرت عيناها لكنه يستر الصدر ومعظم الوجه، وقال الحسن: تغطي نصف وجهها (انظر تفسير القرطبي ٢٤٣/١٤).

تفسير البحر المحيط (ت ٧٤٥هـ):

(من جلابيبهن) للتبعيض و (عليهن) شامل لجميع أجسادهن، أو (عليهن) على وجوههن، لأن الذي كان يبدو منهن في الجاهلية هو الوجه (انظر تفسير البحر المحيط ٥٠٤/٨ هـ).

تفسير ابن كثير (ت ٧٧٤هـ):

الجلباب: هو الرداء فوق الخمار، قاله ابن مسعود وعبيدة وقتادة والحسن البصري وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي وعطاء الخراساني وغير واحد وقال عكرمة: تغطي ثغرة نحرها بجلبابها تدنيه عليها. (انظر تفسير ابن كثير ٤٨٢/٦).

مسألة: في التفرقة بين الحُرَّة والأَمَة في الزي:

يقول ابن حزم معترضًا على أقوال المفسرين في التفرقة بين الحرة والأمة في الملابس: وأما الفرق بين الحرة والأمة، فدين الله واحد والخلقة والطبيعة واحدة، كل ذلك في الحرائر والإماء سواء، حتى يأتي نص في الفرق بينهما في شيء فيوقف عنده. قال: وقد ذهب بعضهم في قوله الله تعالى (يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) إلى أنه إنما أمر الله تعالى بذلك لأن الفساق كانوا يتعرضون للنساء للفسق، فأمر الحرائر بأن يلبسن الجلابيب ليعرف الفساق أنهن حرائر فلا يعترضوهن... ونحن نبرأ من هذا التفسير الفاسد الذي هو إما زلة عالم ووهلة فاضل عاقل، أو افتراء كاذب فاسق، لأن فيه أن الله تعالى أطلق الفساق على أعراض إماء المسلمين، وهذه مصيبة الأبد، وما اختلف اثنان من أهل الإسلام في أن تحريم الزنا بالحرة كتحريمه بالأَمَة، وأن الحد على الزاني بالحرة كالحد على الزاني بالأمة، ولا فرق، وأن تعرض الحرة في التحريم كتعرض الأمة ولا فرق، ولهذا وشبهه وجب أن لا يقبل قول أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بأن يسنده إليه عليه السلام. (انظر المحلى ٢٤٨/٢ – ٢٤٩).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: وليس في الكتاب والسنة إباحة النظر إلى عامة الإماء، ولا ترك احتجابهن وإبداء زينتهن، ولكن القرآن لم يأمرهن بما أمر به الحرائر، والسنة فرَّقت بالفعل بينهن وبين الحرائر، ولم تفرق بينهن وبين الحرائر بلفظ عام، بل كانت عادة المؤمنين أن تحتجب منهم الحرائر دون الإماء، ثم قال: فإذا كان في ظهور الأمة والنظر إليها فتنة وجب المنع من ذلك. (انظر حجاب المرأة ولباسها في الصلاة صـ ٣٨-٣٩).

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة (٢١٠)

قصة نجوم يوسف عليه السلام

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ والمفسرين ومما ساعد على انتشارها وجودها في كتب السنة الأصلية، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

إعداد: علي حشيش

أولاً: أسباب ذكر هذه القصة:

هذه القصة موجودة في هذه التفاسير على سبيل المثال لا الحصر:

١- «تفسير الطبري» (ح١٨٧٩٢) المسمى «جامع البيان في تأويل القرآن».

٢- «تفسير ابن أبي حاتم» (ح١١٣٣٢) المسمى «تفسير القرآن العظيم».

٣- «تفسير الثعلبي» (١٩٧/٥) المسمى «الكشف والبيان عن تفسير القرآن» لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي المتوفى سنة ٤٢٧هـ.

٤- «تفسير البيضاوي» (١٥٥/٣) المسمى «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» لأبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي المتوفى ٦٨٥هـ.

٥- «تفسير النيسابوري» (٦٥/٤) المسمى «غرائب القرآن ورغائب الفرقان» للحسن بن محمد بن حسين النيسابوري المتوفى ٨٥٠هـ.

٦- «تفسير الزمخشري» (٤٤٣/٢٣) المسمى «الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل» لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري المتوفى ٥٣٨هـ.

٧- «تفسير الرازي» (٤١٩/١٨) المسمى «مفاتيح الغيب» لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي المتوفى ٦٠٦هـ.

٨- «تفسير الكرماني» (٥٢٧/١) المسمى بـ «غرائب التفسير وعجائب التأويل» لمحمود بن حمزة بن نصر أبي القاسم برهان الدين الكرماني المتوفى ٥٠٥هـ.

٩- «تفسير أبي حيان» (٢٨٠/٥) المسمى «البحر المحيط» لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان الأندلسي المتوفى ٧٤٥هـ.

١٠- «تفسير النسفي» (٩٤/٢) المسمى «مدارك التنزيل وحقائق التأويل» لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي المتوفى ٧١٠هـ.

١١- «تفسير ابن عطية» (٢٢٠/٣) المسمى «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي المتوفى ٥٤٢هـ.

١٢- «تفسير الماوردي» (٧/٣) المسمى «النكت والعيون» لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي المتوفى ٤٥٠هـ.

١٣- «تفسير ابن كثير» (٣١٧/٤) المسمى «تفسير القرآن العظيم» لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي المتوفى ٧٧٤هـ.

١٤- «تفسير الشوكاني» (٨/٣) المسمى «فتح

القدير» لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني المتوفى ١٢٥٠هـ.

١٥- «فتح الرحمن في تفسير القرآن» (٣٩١/٣) لمجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي المتوفى ٩٢٧هـ.

١٦- «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» (٤٩٨/٤) لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي المتوفى ٩١١هـ.

١٧- «حاشية الطيبي على الكشاف» (٢٤٨/٨) المسماه «فتوح الغيب للكشف عن قناع الريب» لشرف الدين لحسين بن عبد الله الطيبي المتوفى ٧٤٣هـ.

١٨- «تفسير الألوسي» (١٧٩/١٢) المسمى «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي المتوفى ١٠٧٢هـ.

١٩- «درج الدرر في تفسير الآي والسور» (١٩٠/١) لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني المتوفى ٤٧١هـ.

٢٠- «تفسير أبي السعود» (٢٥٢/٤) المسمى «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم» لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى المتوفى ٩٨٢هـ.

قلتُ: لقد ذكرت عشرين تفسيرًا من التفاسير المشهورة كلها ذكرت قصة «نجوم يوسف عليه السلام» تلك القصة الواهية المنكرة كما سنبين، حتى يستبين الطريق لمن يدعي تجديد الخطاب الديني، وليعلم أن تجديد الخطاب الديني ليس معناه أن يدخل في الدين ما ليس منه، ولكن تجديد الخطاب الديني تنقية الدين من الدخيل عليه.

وهذا أحد أهداف هذه السلسلة «سلسلة تحذير الداعية من القصص الواهية».

حيث إن من أهدافها أيضًا تنقية السيرة من المكذوب والموضوع.

ومن أهدافها أيضًا تنقية العقيدة من الواهيات، كذلك العبادات والمعاملات وتنقيتها من الواهيات وأثرها السيئ في الأمة، فتصفو لها السنة.

وإلى القارئ الكريم بيان متن هذه القصة التي ذُكرت في التفاسير المذكورة آنفًا، وزد عليها ما جاء في كتب السنة الأصلية كما سنبين من التخريج.

ثانيًا: المتن:

رُوِيَ عن جابر بن عبد الله قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل يقال له بُستاني اليهودي، فقال: يا محمد، أخبرني عن النجوم التي رآها يوسف أنها ساجدة له، وما أسماؤها؟ قال: فلم يجبه نبي الله صلى الله عليه وسلم بشيء، فنزل إليه جبريل عليه السلام فأخبره، فبعث نبي الله إلى اليهودي فجاءه، قال: «أرأيت تسلم إن أخبرتك؟» قال: نعم. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «حرثان، والطارق، والذَّيال، وذو الكتفان، وذو الفرع، ووثاب، وعمودان، وقابس، والصروح، والمصبح، والفليق، والضياء، والنور، رآها في أفق السماء أنها ساجدة له، فلما قصَّ يوسف رؤياه على يعقوب. قال له: «هذا أمر مشتت يجمعه الله من بعد». قال اليهودي: هذه والله أسماؤها.

قال الحاكم: الضياء هو الشمس وهو أبوه، والنور القمر وهو أمه». اهـ.

ثالثًا: التخريج:

الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية أخرجه:

١- الحافظ الإمام أبو عثمان سعيد بن منصور المروزي في «السنن» (٣٧٧/٥) (ح١١١١) (ط. دار الصميعي بالرياض) قال: حدثنا الحكم بن ظُهير، عن السدي، عن عبد الرحمن بن سابط القرشي عن جابر بن عبد الله، قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل يقال له بستاني... الحديث.

قلتُ: فالسند رباعي واللفظ له وهو متوفى سنة ٢٢٧هـ.

٢- وأخرجه الحافظ أبو جعفر العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٣١٦/٢٥٩/١) من طريق سعيد فقال: حدثنا محمد بن إسماعيل الصائغ، حدثنا سعيد بن منصور به.

٣- وأخرجه الحافظ البيهقي في «الدلائل»

(٢٧٧/٦) من طريق سعيد أيضًا، فقال: «أخبرنا أبو نصر بن قتادة، أخبرنا أبو منصور البصري، حدثنا أحمد بن نجدة، حدثنا سعيد بن منصور به.

٤- وأخرجه الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (١٤٥/١) من طريق سعيد أيضًا، فقال: أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك، قال: أنبأنا محمد بن المظفر، قال: أنبأنا أحمد بن محمد العتيقي، قال: أنبأنا يوسف بن الدخيل، قال: حدثنا أبو جعفر العقيلي، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل الصايغ، قال: حدثنا سعيد بن منصور به.

فائدة: هذه الأسانيد يزداد فيها عدد الرواة بين المصنف والنبي صلى الله عليه وسلم ببعد عصره:

فسند العقيلي سداسي حيث إنه متوفى في سنة (٣٢٢هـ).

وسند البيهقي ثماني حيث إنه متوفى سنة (٤٥٧هـ).

وسند ابن الجوزي حادي عشري ، حيث إنه متوفى سنة (٥٩٧هـ).

وكلهم من طريق سعيد بن منصور وسنده رباعي حيث إنه متوفى سنة (٢٢٧هـ).

٥- وأخرجه البزار في «مسنده» (٢٢٢٠- كشف الأستار) قال: حدثنا علي بن سعيد المسروقي، والحسن بن عرفة قالا: حدثنا الحكم بن ظهير به.

٦- وأخرجه أبو يعلى في «مسنده» كذا في «المطالب العالية» (ح٣٦٣٥) قال: حدثنا زكريا بن يحيى، وأحمد بن إبراهيم الموصلي، ومحمد بن حاتم المؤدب، والمعلى بن مهدي قالوا: أخبرنا الحكم بن ظهير به.

٧- وأخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٢٥٠/١) قال: أخبرنا أبو يعلى به.

٨- وأخرجه ابن جرير الطبري المتوفى (٣١٠هـ) في «تفسير» (١٦٥/٧) (ح١٨٧٩٢) قال: حدثني علي بن سعيد الكندي قال: حدثنا الحكم بن ظُهير به.

٩- وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢١٠١/٧- معلقًا) (ح١١٣٣٢) قال: «قال الحسن بن عرفة حدثنا الحكم بن ظُهير به».

رابعًا: التحقيق:

١- هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية علته الحكم بن ظُهير، قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢٥٠/١): «الحكم بن ظهير الفزاري الكوفي يروي عن السدي روى عنه الكوفيون كان يشتم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، يروي عن الثقات الأشياء الموضوعات.

وأخرج بسنده عن يحيى بن معين قال: «الحكم بن ظهير ليس بشيء، وأخرج خبر القصة وقال عقب روايته له: «هذا لا أصل له من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم». اهـ.

قلتُ: وهذا الحكم على الراوي بأنه يروي الموضوعات يجعله في أشد مراتب الجرح كما قال الإمام السيوطي في «تدريب الراوي» (٢٧٤/١) النوع (٢١): «الموضوع هو الكذب المختلق المصنوع، وهو شر الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته في أي معنى كان سواء في الأحكام والقصص والترغيب وغيرها إلا مقرونًا ببيان وضعه». اهـ.

وحكم الإمام الحافظ ابن حبان على الراوي الحكم بن ظهير من دقيق فقهه في الجرح والتعديل لشدة تحريه يظهر ذلك من قوله في كتابه هذا (١١٠/٢): «ولسنا ممن يستحل إطلاق الجرح على مسلم من غير علم عائذًا بالله من ذلك ونسأل الله جميل الستر بمنه». اهـ.

قلتُ: هذا بالنسبة للحكم على الراوي علة هذا الخبر، أما الحكم على المروي وهو المتن فقد حكم عليه بقوله: «لا أصل له من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم». اهـ.

وهذا ينطبق على الراوي الحكم بن ظهير حيث قال فيه: «يروي الموضوعات» أي الكذب المختلق المصنوع كما بيَّنا.

٢- وقال الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (١٤٦/١) عقب روايته لهذا الخبر: «هذا حديث موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان واضعه قصد شين الإسلام بمثل هذا». اهـ.

هذا بالنسبة للمروي وهو المتن، ونقل أيضًا كلام الإمام الحافظ ابن حبان في المتن: «هذا الحديث لا أصل له من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم». اهـ.

قلتُ: وفي نقد الإمامين ردٌّ على دعوى المستشرقين بأن علماء الحديث اهتموا بالسند ولم ينقدوا المتن وبهذا يتبين سقوط هذا الادعاء وزيفه.

ثم انتقل الحافظ الإمام ابن الجوزي إلى نقد الراوي علة هذا الخبر، فقال: «قال يحيى بن معين: الحكم بن ظهير ليس بشيء، وقال النسائي: متروك. وأنبأنا ابن ناصر عن محمد بن طاهر قال: الحكم كذاب». اهـ.

٣- وأثبت الحافظ البزار غرابة هذا الخبر الذي جاءت به القصة فقال عقب روايته لهذا الخبر: «لا نعلمه يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الإسناد والحكم ليس بالقوي وقد روى عنه جماعة». اهـ.

٤- قال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (١٢٧): «الحكم بن ظُهير، متروك الحديث، كوفي». اهـ.

قلتُ: وهذا المصطلح من الإمام النسائي له معناه حيث بينه الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٦٩) فقال: «مذهب النسائي ألا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه». اهـ.

٥- وقال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (٧٠): «الحكم بن ظهير الفزاري، عن السدي تركوه منكر الحديث».

قلتُ: وهذا المصطلح أيضًا عند الإمام البخاري له معناه. قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في «اختصار علوم الحديث» (ص٨٩): «قول البخاري: «منكر الحديث»، فإنه يريد به الكذابين ففي «الميزان» للذهبي (٥/١): «نقل ابن القطان: أن البخاري قال: كل من قلت فيه: منكر الحديث لا تحل الرواية عنه».

٦- وقال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في كتابه «العلل» (ح٢٧١٢): «سُئل أبو زرعة عن حديث جابر بن عبد الله في الكواكب التي رآها يوسف.. وذكر الحديث».

فقال أبو زرعة: «هذا حديث منكر، ليس بشيء».

قلتُ: وفي إجابة الإمام أبي زرعة أكبر رد على دعوى تقصير المحدثين في نقدهم للمتن.

٧- وأخرج الإمام الحافظ العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢٥٩/١): بسنده عن الإمام يحيى بن معين، قال: «الحكم بن ظهير ليس بشيء»، وفي موضع آخر: «ليس بثقة». هذا بالنسبة للراوي.

أما المروي وهو المتن فقد أخرجه وقال عقب روايته له: «ولا تصح من هذه المتون عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء من وجه ثابت». اهـ.

قلتُ: وهذا أيضًا رد على المستشرقين في دعواهم بتقصير المحدثين في نقدهم للمتون. تلك الدعوى الباطلة لعدم درايتهم بالصناعة الحديثية.

٨- وقال الإمام الجُوزجاني في كتابه «أحوال الرجال» (١٤٢): الحكم بن ظهير سقط بميله وأعاجيب حديثه وهو صاحب نجوم يوسف. اهـ.

٩- قلت: وعلة أخرى تزيد هذا الخبر وهنًا على وهن، وهي «الإرسال الخفي» ففي «المراسيل» لابن أبي حاتم (٤٥٩): قيل ليحيى بن معين: «هل سمع عبد الرحمن بن سابط من جابر؟ قال: كلا، هو مرسل». وكان مذهب يحيى: أن عبد الرحمن بن سابط يرسل عنه ولم يسمع منه. اهـ.

١٠- قلتُ: وأخرج الحاكم في «المستدرك» (٣٩٦/٤) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم» فرد عليه الشيخ عبد الرحمن المعلمي رحمه الله في تعليقه على «الفوائد المجموعة» (ص٤٦٤) قال: «قد جزم الجوزجاني ثم العقيلي بأن الحكم بن ظهير تفرد به عن السدي ومن طريق الحكم ذكره المفسرون وتفسير أسباط عن السدي عندهم جميعًا ووقع في سند الحكم أوهام». اهـ.

قلتُ: «وتصحيح الحاكم للحديث لا يصح أمام أقوال الأئمة بأنه موضوع ولا أصل له من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكم صحح الحاكم متونًا واهية باطلة، ألم يصحح قصة لقاء النبي صلى الله عليه وسلم مع نبي الله إلياس عليه السلام ونزله مائدة عليهما من السماء؟ حيث أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٦١٧/٢) وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه». اهـ. فتعقبه الإمام الذهبي في «التلخيص» وقال: «بل موضوع قبح الله من وضعه». اهـ. وقال في «الميزان» (٤١٤/٤): «فما استحيى الحاكم من الله أن يصحح مثل هذا».

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

الحلقة (٤١)

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

أبو الحسن الأشعري يتخلى عن مذهبه في التأويل ويبرأ إلى الله منه.. ويجب تبني كتابه (الإبانة)فمن غير أنه يحمل صحيح المعتقد، فيه: وحدة الأمة، والحل الأمثل لقضاياها، والتي لا تحل إلا بصحة المعتقد.

إعداد: د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه..

وبعد: فإن أبا الحسن الأشعري إمام المذهب ت٣٢٤، يُعد من أبرز أئمة أهل السنة في القرن الرابع الهجري ممن أثبتوا لله صفاته الفعلية ومنها (الاستواء) ، ومن الملائم -قبل أن نقرر مذهبه في (الاستواء) وغيره، وحتى لا يشغب علينا من يشكك في كتبه التي أعلن فيها تراجعه لمذهب السلف، ووفاءً بحق العلم وأمانته- أن نكشف حقيقة ما كان عليه ونفصح عما آل إليه أمره، وأن نبين بالدليل أن مَن يدّعون شرف الانتساب إليه ممن يؤولون، هم في حقيقة الأمر على غير مذهبه.. وأن مذهب تأويل الصفات الخبرية والفعلية الذي ظل الأشعري عليه قرابة ثلاث سنوات، قد رجع عنه إلى طريقة النبي وصحابته وتابعيهم بإحسان في الأخذ بظواهر النصوص وعدم انتهاك حرماتها بالتفويض أو التأويل والتعطيل والتحريف.. وأننا نخادع أنفسنا لو لم نقل هذا أو قلنا بخلافه.

أ- الأشعري يتخلى عن مذهبه في التأويل، ويبرأ إلى الله منه، ويتبنى مذهب أهل السنة والجماعة:

ولا أدل على تخليه عن مذهب التأويل من شهادات علماء الأمة على مدار تاريخهم الطويل، ويكفينا منها في (القديم) شهادة الحافظ ابن كثير التي ذكرها في طبقات الشافعية١/٢٠٥، حيث قال ما نصه: "ذكروا للشيخ أبي الحسن الأشعري ثلاثة أحوال: أولها: حال الاعتزال التي رجع عنها لا محالة. والحال الثاني: إثبات الصفات العقلية السبعة، وهي: (الحياة) و(العلم) و(القدرة) و(الإرادة) و(السمع) و(البصر) و(الكلام)، وتأويل الخبرية كـ (الوجه) و(اليدين) و(القدم) و(الساق).. ونحو ذلك.

والحال الثالثة: إثبات ذلك كله من غير تكييف ولا تشبيه جريا على منوال السلف، وهي طريقته في (الإبانة) التي صنفها آخراً".

كما يكفينا منها في (الحديث): شهادة العلامة المحقق محب الدين الخطيب، قال في هامش ص٤٣ على (المنتقى) للذهبي: "قد علمتَ أن الأشعري كانت له ثلاثة أطوار:

أولها: انتماؤه إلى المعتزلة.

والثاني: خروجه عليهم ومعارضته لهم بأساليب متوسطة بين أساليبهم وبين ومذهب السلف.

والثالث: انتقاله إلى مذهب السلف وتأليفه في ذلك كتابه (الإبانة) وأمثاله، وقد أراد أن يلقى الله على ذلك".

وعلى شهادتَي الحافظ والمحب، تُحمل مقولة من اختزل مراحل الأشعري في اثنتين، حيث ذَكر أول ما كان عليه وآخر ما آل إليه أمره، وذلك من نحو ما ذكره ابن كثير نفسه في البداية

والنهاية ١١/١٨٧ - وبنحوه ابن خلكان في (وفيات الأعيان) ٤٤٦/٢ - قال: "إن الأشعري كان معتزلياً فتاب منه بالبصرة فوق المنبر، ثم أظهر فضائح المعتزلة وقبائحهم".

وما ذكره الحافظ الذهبي ت٧٤٨، قال في كتابه (العلو) ص١٦٣: "كان أبو الحسن أولاً معتزلياً أخذ عن الجبائي، ثم نابذه ورد عليه وصار متكلماً للسنة ووافق أئمة الحديث، فلو انتهى أصحابنا المتكلمون إلى مقالة أبي الحسن ولزموها لأحسنوا، ولكنهم خاضوا كخوض حكماء الأوائل في الأشياء، ومشوا خلف المنطق، فلا قوة إلا بالله".

وابن فرحون اليعمري ت٧٩٩، قال في كتابه (الديباج) ص١٩٣: "كان الأشعري في ابتداء أمره معتزلياً، ثم رجع إلى هذا المذهب الحق مذهب أهل السنة فكثر التعجب منه، وسُئل عن ذلك فأخبر أنه رأى النبي في رمضان فأمره بالرجوع إلى الحق ونصره، فكان ذلك والحمد لله".. وينظر في تفاصيل ذلك والمزيد منه: كتابنا (صحيح معتقد أبي الحسن الأشعري).

الأمر الذي يعني: أن من يظنون أنهم الآن على مذهب الأشعري، ليسوا في الحقيقة كذلك وإنما هم لا يزالون على مذهبه قبل الأخير.. وأن مذهبه الحقيقي المعوَّل عليه، هو: الذي -على حد قوله في (الإبانة) -كان عليه الإمام أحمد وسائر أئمة السلف من أهل السنة والجماعة، والذي فيه إثبات صفات الله وحملها على ظاهرها بلا تأويل ولا تفويض.. وأن المعبر عن مذهبه الذي لقي الله عليه، هو: كتابه (الإبانة في أصول الديانة)، إذ هو مُعتمد مذهبه، والمعوَّل عليه، والمفصح عما ختم به حياته.

ب- (الإبانة)، هو لأبي الحسن الأشعري وإن رغمت أنوف:

ونذكر ممن شهد بذلك:

١- الحافظ أحمد بن ثابت الطُرقي، قال فيما نقله عنه ابن درباس في كتابه (الذب عن أبي الحسن) ص١٠٣: "رأيت هؤلاء الجهمية ينتمون في نفي العرش وتأويل الاستواء إلى الأشعري، وما هذا بأول باطل ادعوه وكذب تعاطوه، فقد قرأت في كتابه الموسوم بـ(الإبانة) أدلة من جملة ما ذكرتُه، على إثبات الاستواء".

٢- والحافظ إسماعيل الصابوني ت٤٤٩هـ، فقد جاء عنه فيما أورده ابن درباس ص١٠٥، أنه ما كان يخرج إلى مجلس دَرْسه إلا وبيده كتاب (الإبانة) للأشعري ويُظهر الإعجاب به، ويقول: "ما الذي يُنكَر على مَن هذا الكتاب شرح مذهبه".. يقول ابن عساكر معقباً: "فهذا قول الإمام أبي عثمان، وهو من أعيان أهل الأثر بخراسان".

٣- والإمام البيهقي ت٤٥٨هـ، قال في كتابه (الاعتقاد) ص٨٥: "ذكر الشافعي ما دل على أن ما نتلوه من القرآن بألسنتنا ونسمعه بآذاننا ونكتبه في مصاحفنا يسمى كلام الله، وأن الله كلم به عباده بأن أرسل به رسوله، وبمعناه ذكره أيضاً علي بن إسماعيل في كتاب (الإبانة)".

٤- والإمام نصر بن إبراهيم المقدسي ت٤٩٠، قال ابن درباس ص١٠٦: "وجدت كتاب (الإبانة) في كتبه ببيت المقدس، ورأيت في بعض تآليفه في الأصول فصولاً منها بخطه".

٥- والفقيه مَجلي بن جميع، قاضي القضاة بالديار المصرية وصاحب كتاب (الذخائر) في الفقه ت٥٥٠هـ، قال ابن درباس ص١١٩: "أنبأني غير واحد عن الحافظ المبارك البغدادي، ونقلته أنا من خطه في آخر كتاب (الإبانة)، قال: نقلت هذا الكتاب جميعه من نسخة كانت مع الشيخ المجلي الشافعي، وكان يعتمد عليها وعلى ما ذكره فيها، ويقول: لله درُّ مَن صنفه!، ويناظر على ذلك من ينكره، وذكر ذلك لي وشافهني به، قال: هذا مذهبي وإليه أذهب، نقلت هذا سنة ٥٤٠ بمكة".

وغيرهم ممن كانوا قريبي عهد بوفاة الأشعري، وأعرف منا بحاله وبمكانة كتابه (الإبانة) وبصحة نسبته إليه.. ونذكر ممن وليهم:

٦- الحافظ ابن عساكر ت٥٧١هـ، في (تبيين كذب المفتري) ص١٥٢، قال: "إذا كان أبو الحسن مستصْوَبَ المذهب عند أهل المعرفة بالعلم والانتقاد، يوافقه في أكثر ما يذهب إليه أكابر العباد، ولا يقدح في معتقده غير أهل الجهل

والعناد، فلا بد أن نحكي عنه معتقده على وجهه بالأمانة، ونجتنب أن نزيد فيه أو نُنقص منه تركاً للخيانة، لتَعلمَ حقيقة حاله في صحة عقيدته في أصول الديانة، فاسمع ما ذكره في أول كتابه الذي سماه بـ (الإبانة)"، وذكر كثيراً مما جاء فيه ثم عقّب يقول: "فتأملوا هذا الاعتقاد، ما أوضحَه وأبينَه!، وانظروا إلى سهولة لفظه، فما أفصحه وأحسنه!، وكونوا ممن قال الله فيهم: (ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ) الزمر/١٨)، وبيِّنوا فضل أبي الحسن واعرفوا إنصافه، واسمعوا وصفه لأحمد بن حنبل بالفضل واعترافه، لتعلموا أنهما كانا في الاعتقاد متفقَين، وفي أصول الدين ومذهب السنة غير مفترقَين"، وقال ص١٢٨ من التبيين: "وتصانيف الأشعري بين أهل العلم مشهورة معروفة، وبالإجادة والإصابة للتحقيق عند المحققين موصوفة، ومن وقف على كتابه المسمى بـ (الإبانة) عرف موضعه من العلم والديانة".

٧- والشيخ الفقيه إبراهيم بن عيسى بن درباس ت٦٢٢هـ، قال في رسالته (الذب عن أبي الحسن الأشعري) ص٩٩: "اعلموا معشر الإخوان أن كتاب (الإبانة) الذي ألفه الأشعري، هو الذي استقر عليه أمره فيما كان يعتقده، وبه كان يدين الله بعد رجوعه من الاعتزال بمَنِّ الله ولطفه، وكل مقالة تنسب إليه الآن مما يخالف ما فيه، فقد رجع عنها وتبرأ إلى الله منها، وكيف وقد نص على أنه ديانته التي يدين الله بها، وروى وأثبت أنه ديانة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث والماضين وقول أحمد، وأن ما فيه هو الذي يدل عليه كتاب الله وسنة رسوله.

فهل يسوغ أن يقال: إنه رجع عن هذا إلى غيره؟!، فإلى ماذا يرجع؟! أتراه يرجع عن كتاب الله وسنة نبيه ويخالف ما كان عليه الصحابة والتابعون وأئمة الحديث المرضيون وقد علم أنه مذهبهم ورواه عنهم؟!، هذا لعمري ما لا يليق نسبته إلى عوام المسلمين، فكيف بأئمة الدين؟!".

يقول: "قد ذكر (الإبانة) واعتمد عليها وأثبتها للأشعري، وأثنى عليه بما ذكره فيها وبرأه من كل بدعة نسبت إليه، ونقل منها إلى تصنيفه: جماعة من الأئمة الأعلام من فقهاء الإسلام وأئمة القراء وحفاظ الحديث وغيرهم".

٨- وممن ذكر (الإبانة) وعَزَاها للأشعري: الحافظ الذهبي، قال في كتابه (العلو) ص١٦١: "قال الأشعري في كتاب (الإبانة) له، في باب الاستواء: فإن قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟ قيل: نقول: إن الله مستو على عرشه كما قال: (ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ) طه/٥)، إلى آخر ما في (الإبانة)".. ثم قال: "وكتاب (الإبانة) من أشهر تصانيف الأشعري، شهره ابن عساكر واعتمد عليه، ونسخه بخطه الإمام مُحيي الدين النووي".. وذكر الذهبي عن الحافظ الطُّرَقي أنه قال: "قرأت في كتاب الأشعري الموسوم بـ (الإبانة) أدلة على إثبات الاستواء".

٩- وابن فرحون، قال في (الديباج) ص١٩٣: "ولأبي الحسن الأشعري كتب، منها كتاب (اللمع الكبير) وكتاب (اللمع الصغير)، وكتاب (الإبانة)"أ.هـ.

١٠- وابن العماد الحنبلي ت١٠٩٨، قال في (شذرات الذهب) ٣٠٣/٢: "قال أبو الحسن الأشعري في كتابه (الإبانة) وهو آخر كتاب صنفه، وعليه يَعتمد أصحابه في الذب عنه عند من يطعن عليه"، ثم ذكر فصلاً من الإبانة.

١١- والسيد مرتضى الزبيدي ت١١٤٥، قال في (إتحاف السادة المتقين) ٢/٢: "صنف الأشعري بعد رجوعه من الاعتزال (الموجز)، كتاب مفيد في الرد على الجهمية والمعتزلة، و(مقالات الإسلاميين)، وكتاب (الإبانة)".

١٢- والعلامة الألوسي مفتي بغداد ت١٢٧٠، قال في (روح المعاني)١٠٣/١ يعتب على كل من اختلط عليه الأمر وقصد الحق وأخطأه: "والأشعري إمام أهل السنة، ذهب في النهاية إلى ما ذهبوا إليه، وعوَّل في (الإبانة) على ما عوَّلوا عليه، فقد قال في أول كتاب (الإبانة) الذي هو آخر مصنفاته:

(إن قال قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون، قيل له: قولنا الذي نقول به.. إلخ"..

يقول الآلوسي معلقاً على ما أوقعه أهل الكلام سلفاً وخلفاً على الأشعري من حَيف عندما تجاهلوا عن قصد ما آل إليه أمر شيخهم: "والعجيب من علماء أعلام ومحققين فخام، كيف غفلوا عما قلناه، وناموا عما حققناه؟!، ولا أظنك في مرية منه وإن قل ناقلوه وكثر منكروه".

١٣- ويكفينا -حديثاً- أن (الإبانة) كان عنواناً لرسالة دكتوراه للأستاذة/(فوقية حسين محمود) ببنات عين شمس، التي قامت بتحقيقه وتوثيقه من أصل أربع نسخ خطية، وقد قامت بنشره دار الأنصار بالقاهرة وكانت طبعته الأولى في سنة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م برقم إيداع (٤٦٧٧).. كما كان موضوع تحقيق لما يربو عن خمسة آخرين.

هذا ما تيسر ذكره، ومن راجع في تفاصيله كتابنا السالف الذكر، سيخلص إلى نتيجة مؤداها: أن (الإبانة) قد وصل إلى أعلى درجات التحقيق والتوثيق، وأن من شككوا في نسبته للأشعري لسبب أو لآخر، حججهم داحضة، ولا أساس لها من الصحة.. كما أن فيما سبق: دلالة على أن من قال: إن لأبي الحسن في مسألة الصفات رأيين، أو ادعى عليه ما كان منه قبل تراجعه.. هو كاذب عليه وغاش له وللأمة، ومفتر عليه وعليها بالبهتان، ومخالف لمذهبه.

وإنما نقول ذلك ونؤكد عليه، لأن من شأن المخالفين للمعتقد الصحيح للأشعري الذي ختم به حياته، أن ينكروا ويشككوا في كلامه الذي رجع إليه، وأن يشككوا كذلك في تآليفه التي يأتي على رأسها كتاب (الإبانة) الذي سجل فيه تراجعه لمذهب أهل السنة، وأوضح فيه ما كان يعتنقه مؤخراً، لأنهم لو سلموا بهذا لكان في تسليمهم به اعتراف بمخالفتهم مذهب أهل السنة ونقضٌ لتأويلاتهم الباطلة ولمذاهبهم المنحرفة في النفي وذكر السلوب، والتي هي أقرب لمذهب الجهم والمعتزلة منها إلى مذهب أهل الحق، بل بينها وبين الأخير بُعد المشرقين.

جـ- يحسن بالأزهر أن يقرر (إبانة) الأشعري لطلابه، وأن يبين لطلابه صحيح معتقد الأشعري فهذا الكتاب غير أنه يحمل صحيح معتقده، ففيه بيان لكثير من قضايا مجتمعاتنا، والتي لا تحل إلا بصحة المعتقد.

١- إذ بتأمل قول الأشعري في (الإبانة) ص٤٩: "ديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب الله وسنة النبي وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون وبما كان عليه أحمد بن حنبل قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون"، وقوله: "ونعوّل فيما اختلفنا فيه على كتاب ربنا وسنة نبينا وإجماع المسلمين، ولا نبتدع في دين الله ما لم يأذن لنا"، وذلك بعد أن ساق الأدلة من القرآن على وجوب طاعة الله ورسوله والأخذ بأدلة القرآن والسنة المطهرة وبخاصة فيما وصف الله به نفسه.. يُعلم أن مصدر التلقي لديه يختلف عمن عولوا على العقل حتى فيما استأثر الله بعلمه، فكان أن قدموه على نصوص الشرع في صفات الخالق بل وفي جُل أحكام الشرع، فضلوا وأضلوا.. ويُعلم أنه بريء من كل ذلك، كونه أوجب نهج الكتاب والسنة وارتضى منهج الصحابة وكذا تابعيهم بإحسان وفي مقدمتهم أحمد إمام أهل السنة.

٢- وبتأمل قوله ص٥٣: "ونرى الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، والإقرار بإمامتهم، وتضليل من رأى الخروج عليهم إذا ظهر منهم ترك الاستقامة، وندين بإنكار الخروج عليهم بالسيف، وترك القتال في الفتنة".. يُعلم كم كان يمكن أن يَقضي كلامه هذا -لو دُرِّس لأبنائنا في الأزهر وغيره- على كل نابغة تخرج على حكام المسلمين وتستبيح دماء محكوميهم وتستحل أموالهم، وعلى كل مظاهر الفتن التي أحاطت بالمسلمين من كل جانب وفي جميع أصقاع الأرض، بل وتصون دماء الآلاف مما ذهبت سدى، وقد رأينا كيف أنهم أضروا بأنفسهم وبغيرهم ومن قبل ذلك بإسلامهم، خدمة لأعداء الإسلام والمتربصين به وبالأمة.. ويُعلم كم كان يمكن أن يعم الصلاحُ العبادَ والبلاد في سائر أقطار العالم، حيث يرتفع الدعاء للأئمة من فوق أعواد المنابر بالمساجد، وتنتشر دعوة الله بالحكمة والموعظة الحسنة في الخافقين، ويدخل الناس في دين الله أفواجاً.

وإلى لقاء آخر، والحمد لله رب العالمين.



التربية على الزهد في الدنيا

إعداد: د. عبد العظيم بدوي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلاً مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟ فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ لأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ، فَقَالَ: فَوَاللَّهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ))(مسلم:٢٩٥٧).

خلق الله آدم عليه السلام وأسكنَه الجنة، وخلق له زوجًا يسكنُ إليها، وأباحَ لهما الجنةَ، إلاَّ شجرةً واحدة نهاهما عنها، (فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ (١٢٢) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦) وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ)(طه: ١٢١- ١٢٧).

وقال تعالى: (قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٢٤) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ) (الأعراف: ٢٤- ٢٥).

وهكذا رأى آدمُ جنةَ الخلد وما فيها من النعيم، ثم نزل إلى الأرض على وَعْد من الله أنْ يَرُدَّه وصالحي ذريته إلى الجنة، وجعلَ الله تعالى الدُّنْيا مَعْرضًا للآخرَة، عرضَ فيها نعيمَ الجنَّة، وشقاءَ النَّار، فكلُّ ما في الدُّنْيا من نعيم فهو مثالٌ لنعيم الجنة، وكلُّ ما فيها من بؤس وشقاء وعذاب، فهو مثالٌ لعذاب النَّار، فَلمَّا كثر بنو آدمَ في الأرض انقسموا قسمين: قسمٌ أنكرُوا البعثَ بعدَ الموت، وأنكرُوا الحسابَ والجزاء، والثوابَ والعقاب، وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم: (إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (يونس: ٧- ٨).

وهؤلاءِ جعلوا الدُّنْيا أكبرَ همِّهم، فهم حريصونَ عليها وعلى شهواتِها ولذَّاتها كلَّ الحرص، حتى قال الله فيهم: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ) [(محمد: ١٢)، وقالِ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: ((الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ)) (مسلم:٢٠٦٢).

والقسمُ الثَّاني: من يُقرُّ بدار بعدَ الموْت للثواب والعقاب، وهم المنْتَسبُونَ إلى شرائع المرسلين، وهم منقسمونَ إلى ثلاثة أقسام: ظالمٌ لنفسه، ومقتصدٌ، وسابقٌ بالخيرات بإذن الله، والظالمُ لنفسه هم الأكثرونَ، وأكثَرهم واقفٌ مع زهرةِ الدُّنْيا وزينتها،

فأخذها من غيرِ وجهها، واستعملها في غيرِ وجهها، وصارت الدُّنيا أكبرَ همِّه، بها يرضى، ولها يغضب، ولها يُوالي، وعليها يُعادي، وهؤلاءِ هم أهلُ اللَّهو واللَّعب، والزِّينة والتَّفاخر والتَّكاثر، وكلُّهم لم يعرفِ المقصودَ منَ الدُّنيا، ولا أنَّها منزلةُ سفرٍ يتزودُ منها إلى ما بعدَها من دار الإقامة، وإنْ كان أحدُهم يؤمنُ بذلكَ إيمانًا مجملاً، فهو لا يعرفُه مفصَّلاً، ولا ذاقَ ما ذاقَ أهلُ المعرفة بالله في الدُّنيا ممَّا هو أنموذجًا لما ادخرَ لهم في الآخرة.

والمقتصدُ منهم أخذَ الدُّنيا من وجوهها المباحة، وأدَّى واجباتها، وأمسكَ لنفسه الزائدَ على الواجبِ فتوسعَ به في التَّمتعِ بشهوات الدُّنيا، وأولئك لا عقابَ عليهم في ذلك، إلاَّ أنَّه ينقص من درجاتهم في الآخرة بقدر توسعهم في الدُّنيا، كما رُويَ عن عمرَ أنَّه قالَ: لولاَ أنْ ينقصَ من حسناتي لخالطتُكم في لينِ عيْشكم، ولكن سَمعتُ الله عيَّرَ قومًا فقال: (أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا)[(الأحقاف: ٢٠)، وقال الفُضَيْلُ: إنْ شئتَ استقلَّ منَ الدُّنيا وإنْ شئتَ استكثرْ منها، فإنَّما تأخذُ من كيسكَ. ولذلكَ قالَ صلى الله عليه وسلم: ((لاَ تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ وَلاَ الدِّيبَاجَ، وَلاَ تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلاَ تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَكُمْ فِي الآخِرَةِ))(متفق عليه).

وأمَّا السابقُ بالخيْرات بإذن الله فهم الذين فهموا المرادَ منَ الدُّنيا وعملوا بمقتضى ذلك، فعلموا أنَّ الله إنَّما أسكنَ عبادَه هذه الدَّارَ ليبلوَهم أيُّهم أحسنُ عملاً، وجعلَ ما في الدُّنيا من البَهجة والنَّضرة محنةً لينظرَ من يقفُ منهم معه ويركنُ إليه، ومن ليْسَ كذلك، كما قال تعالى: (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا)[(الكهف: ٧)، ثم بيَّنَ انقطاعَهَ وإنفادَهُ فقال تعالى: (وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا)[(الكهف: ٨).

فلَمَّا فهموا أنَّ هذا هو المقصودُ من الدُّنْيا جعلوا همَّهم التزودَ منها للآخرة التي هي دار القرار، فاكتفوا من الدُّنيا بما يكتفي به المسافرُ في سفره. (جامع العلوم والحكم لابن رجب ص ٢٥٩-٢٥٧)

والقرآنُ الكريمُ مملوءٌ من التزهيد في الدُّنيا، والإخبار بخستها وقلتها وانقطاعها، وسرعة فنائها، والتَّرغيبِ في الآخرة، والإخبار بشرفها ودوامها.

وقد كان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم المثلُ الأعلى في الزهد في الدُّنيا:

عَنْ عَبْد الله رضي الله عنه قَالَ: نَامَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِه، فَقُلْنَا يَا رَسُولَ الله! لَو اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً (أي فراشًا لينًا) فَقَالَ: ((مَا لي وَمَا للدُّنْيَا؟ مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إلاَّ كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا)) (صحيح الترمذي: ٢٣٧٧).

ولَمَّا تَطلَّعتْ نساؤهُ صلى الله عليه وسلم إلى الدُّنيا ورغبنَ فيها غَضبَ عليهنَّ، وحلف أنْ لا يدخلَ عليهنَّ شهرًا، حتَّى شيعَ أنَّ رسولَ الله طلقَ نساءَه فاستأذنَ عليه عُمرُ فدخلَ عليه ((وَإِنَّهُ لَعَلَى حَصِيرٍ، مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ شَيْءٌ، وَتَحْتَ رَأْسِه وِسَادَةٌ مِنْ أَدَمٍ، حَشْوُهَا لِيفٌ، وَإِنَّ عِنْدَ رِجْلَيْهِ قَرَظًا مَصْبُوبًا، وَعِنْدَ رَأْسِه أَهَبٌ مُعَلَّقَةٌ، فَرَأَيْتُ أَثَرَ الْحَصِيرِ فِي جَنْبِه، فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ؟ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله! إِنَّ كِسْرَى وَقَيْصَرَ فِيمَا هُمَا فِيه، وَأَنْتَ رَسُولُ الله؟ فَقَالَ: ((أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الآخِرَةُ)).(متفق عليه).

وَعَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ: ((وَالله يَا ابْنَ أُخْتِي، إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلاَلِ ثُمَّ الْهِلاَلِ ثُمَّ

الْهِلَالِ، ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم نَارٌ، قَالَ: قُلْتُ: يَا خَالَةُ فَمَا كَانَ يُعَيِّشُكُمْ؟ قَالَتِ الأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ))(متفق عليه).

وكان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يُرغِّبُ أصحابَه في الزهد في الدُّنيا ويوصيهم بذلك:

عَنْ الْمُسْتَوْرِدِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَاذَا يَرْجِعُ)) (مسلم ٢٨٥٨).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ))(مسلم ٢٧٤٢).

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّوكَ))(صحيح ابن ماجه ٣٣١٠).

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عنه قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِبَعْضِ جَسَدِي فَقَالَ: ((كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ)).(البخاري ٦٤١٦)

قال الإمام النووي: ((قالوا في شرح هذا الحديث: لا تركن إلى الدُّنيا ولا تتخذها وطنًا، ولا تحدِّثْ نفسَك بطولِ البقاءِ فيها، ولا بالاعتناءِ بها، ولا تتعلقْ منها إلاَّ بما يتعلقُ به الغريبُ في غيرِ وطنِه، ولا تشتغلْ فيها بما لا يشتغلُ به الغريبُ الذي يريدُ الذهابَ إلى أهلِه))(رياض الصالحين ٢١٦و٢١٧).

وقد تنوعتْ عباراتُ السَّلفِ في حقيقةِ الزُّهد:

فقال ابن تيمية: «الزُّهدُ تركُ ما لا ينفعُ في الآخرة». (مجموع الفتاوى ٢١/١٠).

وقال الإمامُ أحمدُ: «الزُّهدُ على ثلاثة أوجه: الأولُ: تركُ الحرام، وهو زهدُ العوام، والثَّاني: تركُ الفضولِ من الحلال، وهو زهدُ الخواص، والثَّالثُ: تركُ ما يشغلُ عن الله، وهو زهدُ العارفين». (تهذيب مدارج السالكين ص٢٨٤).

وعن يونس بن ميسرة قال: «ليس الزَّهادةُ في الدُّنيا بتحريمِ الحلالِ ولا إضاعةِ المال، ولكن الزَّهادةَ في الدُّنيا أنْ تكون بما في يدِ الله أوثق منك بما في يدك، وأنْ تكون حالُك في المصيبةِ وحالُك إذا لم تصبْ بها سواء، وأنْ يكونَ مادحُك وذامُّك في الحقِّ سواء. ففسَّر الزُّهدَ في الدُّنيا بثلاثةِ أشياءٍ كلُّها من أعمالِ القلوب لا من أعمالِ الجوارح» (جامع العلوم والحكم ص٢٥٤).

فالزُّهدَ زهدُ القلب، لا زهدَ التركِ من اليد وسائرِ الأعضاءِ، والزُّهدُ هو تخلي القلبَ عنها، لا خلوَّ اليدِ منها، ولذلك سئل الإمامُ أحمدُ عن الرجلِ يكونُ معه ألفُ دينارٍ، هل يكونُ زاهدًا؟ قال: نعم، إذا لم يفرح إذا زادت، ولم يحزن إذا نقصت، وكان أبو سليمان يقول: لا تشهد لأحدٍ بالزُّهد، فإنَّ الزُّهدَ زُهْدُ القلب. (تهذيب مدارج السالكين ص ٢٨٤).

اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همِّنا ولا مبلغ علمنا.

الحلقة الخامسة

باب العقيدة

وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم والاقتداء به

ومشروعية الصلاة والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم

إعداد د. صالح الفوزان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

نتحدث في هذا العدد عن وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم والاقتداء به، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

تجب طاعة النبي صلى الله عليه وسلم بفعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه، وهذا من مقتضى شهادة أنه رسول الله، وقد أمر الله تعالى بطاعته في آيات كثيرة، تارة مقرونة مع طاعة الله، كما في قوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ» (النساء: ٥٩) وأمثالها من الآيات، وتارة يأمر بها منفردة، كما في قوله: «مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ» (النساء: ٨٠)، «وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» (النور: ٥٦).

وتارة يتوعد من عصى رسوله صلى الله عليه وسلم، كما في قوله تعالى: «فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» (النور: ٦٣).

أي: تصيبهم فتنة في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة، أو عذاب أليم في الدنيا؛ بقتل أو حدّ أو حبس، أو غير ذلك من العقوبات العاجلة.

وقد جعل الله طاعته واتباعه سببًا لنيل محبة الله للعبد ومغفرة ذنوبه، قال تعالى: «قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ» (آل عمران: ٣١).

وجعل طاعته هداية، ومعصيته ضلالاً، قال تعالى: «وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا» (النور: ٥٤).

وقال تعالى: «فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» (القصص: ٥٠).

وأخبر سبحانه وتعالى أنَّ فيه القدوة الحسنة لأمته، فقال تعالى: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا» (الأحزاب: ٢١).

قال ابن كثير- رحمه الله تعالى-: (هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول

الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب في صبره ومصابرته، ومرابطته ومجاهدته، وانتظاره الفرج من ربه- عز وجل- صلوات الله وسلامه عليه دائمًا، إلى يوم الدين).

وقد ذكر الله طاعة الرسول واتباعه في نحو أربعين موضعًا من القرآن، فالنفوس أحوج إلى معرفة ما جاء به واتباعه منها إلى الطعام والشراب، فإنَّ الطعام والشراب إذا فات الحصول عليهما؛ حصل الموت في الدنيا، وطاعة الرسول واتباعه إذا فاتا؛ حصل العذاب والشقاء الدائم، وقد أمر صلى الله عليه وسلم بالاقتداء به في أداء العبادات، وأن تؤدى على الكيفية التي كان يؤديها بها، فقال تعالى: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» (الأحزاب: ٢١)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (صلوا كما رأيتموني أصلي) (الحديث رواه البخاري)، وقال: (خذوا عني مناسككم) (الحديث رواه مسلم)، وقال: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) (الحديث متفق عليه)، وقال: (من رغب عن سنتي فليس مني) (متفق عليه) إلى غير ذلك من النصوص؛ التي فيها الأمر بالاقتداء به، والنهي عن مخالفته.

مشروعية الصلاة والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم

من حقه الذي شرع الله له على أمته أن يُصلوا ويسلموا عليه، فقد قال الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» (الأحزاب: ٥٦).

وقد ورد أن معنى صلاة الله تعالى: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة: الدعاء، وصلاة الآدميين: الاستغفار، وقد أخبر الله سبحانه في هذه الآية عن منزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى؛ بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه؛ ليجتمع الثناء عليه من أهل العالم العُلوي والسُّفلي.

ومعنى: «وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» أي: حيُّوه بتحية الإسلام؛ فإذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فليجمع بين الصلاة والتسليم؛ فلا يقتصر على أحدهما، فلا يقول: (صلى الله عليه) فقط، ولا يقول: (عليه السلام) فقط؛ لأن الله تعالى أمر بهما جميعًا.

وتشرع الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في مواطن يتأكد طلبها فيها، إما وجوبًا وإما استحبابًا مؤكدًا، وذكر ابن القيم- رحمه الله- في كتابه: (جلاء الأفهام) واحدًا وأربعين موطنًا؛ بدأها بقوله: (الموطن الأول:- وهو أهمها وآكدها- في الصلاة في آخر التشهد، وقد أجمع المسلمون على مشروعيته، واختلفوا في وجوبه فيها) ثم ذكر من المواطن: آخر القنوت، وفي الخُطب كخُطبة الجمعة، والعيدين والاستسقاء، وبعد إجابة المؤذن، وعند الدعاء، وعند دخول المسجد والخروج منه، وعند ذكره صلى الله عليه وسلم، ثم ذكر- رحمه الله- الثمرات الحاصلة من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر فيها أربعين فائدة ، منها:

امتثال أمر الله سبحانه بذلك.

ومنها: حصول عشر صلوات من الله على المصلي مرة.

ومنها: رجاء إجابة الدعاء إذا قدَّمها أمامه.

ومنها: أنها سبب لشفاعته صلى الله عليه وسلم إذا قرنها بسؤال الوسيلة له صلى الله عليه وسلم .

ومنها: أنها سبب لغُفران الذنوب.

ومنها: أنها سبب لرد النبي صلى الله عليه وسلم على المُصلي والمُسَلم عليه.

فصلواتُ الله وسلامه على هذا النبي الكريم.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

الحلقة الثالثة

تراجم أئمة القراءات

إعداد د/أسامة صابر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فلا يزال الحديث متصلاً عن ترجمة أئمة القراءات، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

الإمام ابن عامر الدمشقي:

هو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم؛ أبو عمران اليحصبي الدمشقي، إمام الشاميين في القراءة، وهو ثابت النسب إلى يحصب بن دهمان، بطن من حمير، وحمير من قحطان فهو عربي صريح.

مولده:

قيل: ولد عام الفتح، واستبعد الإمام الذهبي ذلك، وصحح ما قاله تلميذه يحيى بن الحارث الذماري: إن مولده سنة إحدى وعشرين.

شيوخه:

أخذ القراءة عن المغيرة بن أبي شهاب المخزومي صاحب عثمان، وأبي الدرداء، ومعاوية، وواثلة بن الأسقع، وفضالة بن عبيد، وقيل سمع قراءة عثمان وهو محتمل، وقيل قرأ عليه بعض القرآن وهو ممكن.

قال ابن عامر: لقيت واثلة بن الأسقع فقلت له: بايعت بيدك هذه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: نعم فقبلتها.

أخذ القراءة عنه: يحيى بن الحارث الذماري، وهو الذي خلفه في القيام بها، وربيعة بن يزيد، وجعفر بن ربيعة، واسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، وخلاد بن يزيد بن صبيح المري، ويزيد بن أبي مالك.

من المناصب التي تولاها: ولي قضاء دمشق بعد أبي إدريس الخولاني، وكان على بناء مسجد دمشق زمن الوليد، وكان رئيس المسجد لا يرى فيه بدعة إلا غيَّرها.

ثناء العلماء عليه:

قال الإمام الشاطبي-رحمه الله-:

وأما دمشق الشام دار ابن عامر
فتلك بعبد الله طابت محلاً

أي: عظم شأن دمشق بابن عامر وطاب نزولها لأخذ القراءة عنه.

وقال ابن الجزري عنه: وكان إمامًا كبيرًا وتابعيًا جليلاً، وعالمًا شهيرًا، أمَّ المسلمين بالجامع الأموي سنين كثيرة في أيام عمر بن عبد العزيز وقبله وبعده، فكان يأتم به وهو أمير المؤمنين وناهيك بذلك منقبة، وجمع له بين الإمامة والقضاء ومشيخة الإقراء بدمشق، ودمشق إذ ذاك دار الخلافة ومحط رحال العلماء والتابعين، فأجمع الناس على قراءته وعلى ناقليها بالقبول وهم الصدر الأول الذين هم أفاضل المسلمين.

وقال: وأما طعن ابن جرير فيه فهو مما عُدَّ من سقطات ابن جرير، حتى قال السخاوي: «قال لي شيخنا أبو القاسم الشاطبي: إياك وطعن الطبري على ابن عامر».

وقال في النشر: ولقد بلغنا عن هذا الإمام أنه كان في حلقته أربعمائة عريف يقومون عنه بالقراءة، ولم يبلغنا عن أحد من السلف-رضي الله عنهم- على اختلاف مذاهبهم وتباين لغاتهم وشدة ورعهم أنه أنكر على ابن عامر شيئًا من قراءته، ولا طعن فيها، ولا أشار إليها بضعف ولقد كان الناس بدمشق وسائر بلاد الشام حتى الجزيرة الفراتية وأعمالها لا يأخذون إلا بقراءة ابن عامر، ولا يزال الأمر كذلك إلى حدود الخمسمائة.

وقال أبو علي الأهوازي: «كان عبد الله بن عامر إمامًا عالمًا ثقة فيما أتاه حافظًا لما رواه، متقنًا لما وعاه، عارفًا فهمًا قيمًا فيما جاء به صادقًا فيما نقله من أفاضل المسلمين وخيار التابعين وأجلة الراوين لا يُتَّهم في دينه، ولا يُشك في يقينه، ولا يرتاب في أمانته، ولا يُطعَن عليه في روايته، صحيح نقله، فصيح قوله، عاليًا في قدره، مصيبًا في أمره، مشهورًا في علمه، مرجوعًا إلى فهمه، ولم يتعد فيما ذهب إليه الأثر ولم يقل قولا يخالف فيه الخبر.

وفاته:

توفي بدمشق يوم عاشوراء سنة ١١٨هـ. ينظر في ترجمته في معرفة القراء الكبار برقم: ٣٦، وسير أعلام النبلاء: برقم ٣٢٣٦، والنشر (١/١٢١، ٢/٢٠١)، وغاية النهاية برقم ١٧٩٠.

هشام بن عمار الراوي عن ابن عامر:

اسمه: هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة السلمي.

كنيته: أبو الوليد.

منزلته: شيخ أهل دمشق ومفتيهم وخطيبهم ومقرئهم ومحدثهم.

مولده: سنة ١٥٣هـ.

قرأ القرآن على: عراك بن خالد، وأيوب بن تميم، وغيرهما من أصحاب يحيى الذماري.

وقرأ عليه: أبو عبيد، وأحمد بن يزيد الحلواني، وهارون بن موسى الأخفش، وآخرون.

سمع الحديث من: مالك بن أنس، ومسلم بن خالد الزنجي، وإسماعيل بن عياش، والحكم بن هشام الثقفي، وعبد العزيز بن أبي حازم، وصدقة بن خالد، وسفيان بن عيينة، وغيرهم.

قصة طلبه للحديث على الإمام مالك:

قال محمد بن الفيض الغساني: سمعت هشامًا يقول: باع أبي بيتًا بعشرين دينارًا، وجهَّزني للحج فلما صرت إلى المدينة أتيت مجلس مالك ومعي مسائل، فأتيته وهو جالس في هيئة الملوك وغلمان قيام والناس يسألونه، وهو يجيبهم. فقلت: ما تقول في كذا، فقال: حصلنا على الصبيان، يا غلام احمله فحملني كما يُحمَل الصبي، وأنا يومئذ مدرك، فضربني بدرة مثل درة المعلمين سبع عشرة درة فوقفت أبكي، فقال: ما يبكيك أوجعتك هذه؟ قلت: إن أبي باع منزله ووجَّه بي، أتشرف بك وبالسماع منك، فضربتني، فقال: اكتب فحدثني سبعة عشر حديثًا، وأجابني عن المسائل.

وفي رواية أنه قال للإمام مالك: ظلمتني لا أجعلك في حل. فقال: ما كفارته؟ قلت: أن تحدثني بخمسة عشر حديثًا، فحدثني فقلت: زد من الضرب، وزد في الحديث فضحك، وقال: اذهب.

وحدث عنه: الوليد بن مسلم، ومحمد بن شعيب -وهما من شيوخه- ويحيى بن معين، والبخاري في صحيحه، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه في سننهم، وأخرج الترمذي عن رجل عنه، وممن حدث عنه محمد بن سعد، وأبو حاتم، وأبو زرعة، وبقي بن مخلد، وأبو بكر بن أبي عاصم، وأمم غيرهم.

ثناء العلماء عليه:

وثَّقه ابن معين، وقال النسائي: لا بأس به، قال الدارقطني: صدوق كبير المحل. وقال الذهبي: كان طلابة للعلم منذ بلغ الحلم، واسع الرواية، من أوعية العلم. وقال محمد بن خريم: كان هشام فصيحًا مفوهًا.

وقال أبو علي أحمد بن محمد الأصبهاني المقرئ: كان هشام مشهورًا بالنقل والفصاحة والعلم والرواية والدراية رُزِقَ كبر السن وصحة العقل والرأي، فارتحل الناس إليه في القراءات والحديث.

وقال أحمد بن أبي الحواري: إذا حدثت في بلد فيها مثل أبي الوليد هشام بن عمار فيجب للحيتي أن تحلق.

من أقواله:

قال في خطبة له: قولوا الحق ينزلكم الحق منازل أهل الحق يوم لا يُقضى إلا بالحق.

وقال: ما أعدت خطبة منذ عشرين سنة.

وفاته: في آخر المحرم سنة ٢٤٥هـ.

ينظر ترجمته في: (معرفة القراء الكبار برقم ١٢٧، وسير أعلام النبلاء برقم ٦٥١٦).

ابن ذكوان الراوي عن ابن عامر:

اسمه: عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان البهراني الدمشقي:

كنيته: أبو عمرو وأبو محمد.

مولده: يوم عاشوراء سنة ١٧٣هـ.

قرأ على: أيوب بن تميم، وغيره.

وقال النقاش: قال ابن ذكوان: أقمت على الكسائي سبعة أشهر، وقرأت عليه القرآن غير مرة.

وقرأ عليه: ابنه أحمد، وهارون بن موسى الأخفش، ومحمد بن موسى الصوري، ومحمد بن القاسم الإسكندراني، وأحمد بن يوسف التغلبي، وجعفر بن محمد بن كزاز، وعبد الله بن مخلد الرازي، وغيرهم.

حدَّث عن: بقية بن الوليد، والوليد بن مسلم، ووكيع بن الجراح، وطائفة.

وحدَّث عنه: أبو داود، وابن ماجه في سننهما، وعبد الله بن محمد بن مسلم المقدسي، وخلق سواهم.

ثناء العلماء عليه:

قال أبو حاتم: صدوق.

وقال الذهبي: مقرئ دمشق، وإمام جامعها، وقال: بلغنا أن ابن ذكوان كان أقرأ من هشام بكثير، ولكن كان هشام أوسع علمًا من ابن ذكوان بكثير.

وقال أبو زرعة الدمشقي: لم يكن بالعراق ولا بالحجاز ولا بالشام ولا بمصر ولا بخراسان في زمان ابن ذكوان أقرأ عندي منه.

وفاته: سنة ٢٤٢هـ.

ينظر في ترجمته في: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري برقم ١٧٢٠، ومعرفة القراء الكبار برقم ١٢٨.

وللحديث بقية إن شاء الله، نسأل الله أن يجعلنا من أهل القرآن، وأن يرزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يرضيه عنا.

باب الفقه

أحكام الصلاة

الحالات التي تُكره فيها الصلاة

الحلقة الأولى

إعداد د. حمدي طه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فرض الله تعالى الصلاة على الناس، وجعلها من أعظم القربات إلى الله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ (النساء: ١٠٣)، ومع ذلك فقد ورد النهي عن حالات معينة، وهذه الحالات تكره فيها الصلاة شرعًا، ومن هذه الحالات ما يلي:

١ - الصلاة بحضرة الطعام مكروهة:

وحضور الطعام: كمال نضجه واستوائه وتهيؤه لتناوله، فالمراد بذلك أن تحضر الصلاة في حال حضور الطعام. بمعنى أن يكون فعل الجماعة للصلاة وقت وضع الطعام بين يديه، أو يكون مشغولاً بالأكل فتقام الصلاة أثناء اشتغاله بالأكل، فإذا كان الطعام يحتاج إليه وتتعلق نفسه به فإنه حينئذ ينصرف إلى الطعام؛ فإذا أراد المسلم الصلاةَ أية صلاة، ووُضع له طعامُه بدأ بتناول الطعام وأخذ حاجته منه بأناة، ثم قامَ لصلاته بعدئذ وليس العكس، والأصل في ذلك أحاديث منها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي- صلى الله عليه وسلم - قال: «إذا وضع العَشاء وأقيمت الصلاة فابدءوا بالعَشاء» رواه البخاري ومسلم.

وعن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا حضر العَشاء وحضرت الصلاةُ فابدؤوا بالعَشاء. أخرجه أحمد بسند جيد وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا وُضع عشاءُ أحدكم وأقيمت الصلاة فابدؤوا بالعَشاء، ولا يَعجَل حتى يفرغ منه» رواه البخاري ومسلم.

وعن ابن أبي عتيق: قال تحدثت أنا والقاسم عند عائشة رضي الله عنها حديثًا، وكان القاسم رجلا لحانة وكان لأم ولد فقالت له عائشة: ما لك لا تحدَّث كما يتحدث ابن أخي هذا؟ أما إني قد علمت من أين أتيتَ، هذا أدبته أمه وأنت أدبتك أمك، قال: فغضب القاسم، فلما رأى مائدة عائشة قد أُتيَ بها قام، قالت: أين؟ قال: أصلي. قالت: اجلس، قال: إني أصلي، قالت: اجلس غدَر؛ إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا صلاة بحضرة الطعام ولا هو يدافعه الأخبثان" رواه مسلم.

فهذه الأحاديث كلها تدل عَلَى أَنَّهُ إذا أقيمت الصلاة وحضر الطعام فإنه يبدأ بالطعام ، سواء كَانَ قَدْ أكل مِنْهُ شيئاً أو لا، وأنه لا يقوم حَتَّى يقضي حاجته من عشائه، ويفرغ مِنْهُ.

وممن روي عَنْهُ تقديم العشاء عَلَى الصلاة: أبو بَكْر وعمر وابن عُمَر وابن عَبَّاس وأنس وغيرهم. وروى معمر، عَن ثابت، عَن أنس، قَالَ: إني لمع أبيِّ بْن كعب وأبي طلحة وغيرهما من أصحاب النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم عَلَى طعام؛ إذ نودي بالصلاة، فذهبت أقوم فأقعدوني، وأعابوا عَلِيّ حِينَ أردت أن أقوم وأدع الطعام.

وإلى هَذَا القول ذهب الثوري وأحمد- في المشهور عَنْهُ- وإسحاق وابن المنذر. (فتح الباري- لابن رجب ٤ /١٠٥).

وثبت في البخاري نحوه من حديث ابن عمر- نحوه- وفيه: (وكان ابن عمر يوضع له الطعام وتقام الصلاة، فلا يعجل عن عشائه حتى يفرغ



وإنه ليسمع قراءة الإمام).

وهذا الأثر والذي قبله يدل على أن ذلك الأمر كان معروفًا بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من غير نكير.

وقال الإمام الشافعي: يبدأ بالطعام إذا كانت نفسه شديدة التوقان إليه، فإن لم يكن كذلك ترك العشاء، وإتيان الصلاة أحبُّ إلي. وذكر ابن حبيب مثل معناه. (شرح صحيح البخاري - لابن بطال ٢/٢٩٤).

ويستدل له بما ثبت عند ابن أبي شيبة بإسناد صحيح: (أن ابن عباس وأبا هريرة كانا يأكلان طعاما في التنور شواء، فأراد المؤذن أن يقيم فقال له ابن عباس: لا تقم لئلا نعجل وفي أنفسنا شيء) وفي رواية (لئلا يعرض في الصلاة).

وفي هذا الأثر الصحيح يتبين أن هذا إنما هو خاص فيما إذا كان الطعام تتوق إليه النفس ويُشتهى، وللنفس حاجة إليه. (شرح كتاب زاد المستقنع للشيخ الحمد ٥/١٥٣).

وعن أحمد، قَالَ: إن كَانَ أخذ من طعامه لقمةَ أو نحو ذَلِكَ فلا بأس أن يقوم إلى الصلاة فيصلي، ثُمَّ يرجعَ إلى العشاء وقد ذهب طائفة من الفقهاء من الشافعية وغيرهم إلى أَنَّهُ إذا سَمِعَ الإقامة ولم يشبع من طعامه لا يقوم للصلاة ، بل يأكل مَا يكسر به سَوْرَة جوعه.

واستدلوا لذلك بحديث عَمْرو بن أُمَيَّةَ، قَالَ: (رَأَيْتُ النبي صلى الله عليه وسلم يَأْكُلُ ذِرَاعًا يَحْتَزُّ مِنْهَا، فَدُعِيَ إلى الصَّلاة، فقَامَ، فَطَرَحَ السِّكِّينَ، فَصَلَّى، وَلَمْ يَتَوَضَّأ)؛ وحديث ابن عُمَر صريح في رد ذَلِكَ، وأنه لا يعجل حَتَّى يفرغ من عشائه.

وقالت طائفة أخرى: يبدأ بالصلاة إلا أن يكون الطعام خفيفاً؛ حكاه ابن المنذر، عَن مَالك. وهؤلاء قالوا: إن النَّبيَّ أمر بتقديم العشاء عَلَى الصلاة حيث كَانَ عشاؤهم خفيفا، كما كَانَتْ عادة الصَّحَابَة في عهد النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم، فَلَمْ يتناول أمره غير مَا هُوَ معهود في زمنه.

ويستدل لهم بما روى أبو داود بإسناده، عَن عَبْد الله بْن عُبَيْد بْن عمير، قَالَ: كُنْتُ مَعَ أَبِي في زمان ابن الزُّبَيْر إلى جنب عَبْد الله بْن عُمَر، فَقَالَ عباد بْن عَبْد الله بْن الزُّبَيْر: إنا سمعنا أَنَّهُ يبدأ بالعشاء قَبْلَ الصلاة، فَقَالَ عَبْد الله بْن عُمَر: ويحك، مَا كَانَ عشاؤهم، أتراه كَانَ مثل عشاء أبيك؟ (فتح الباري- لابن رجب ٤/١٠٩).

وقال أهل الظاهر: ولا تجزئ الصلاة بحضرة طعام المصلي غداء كان أو عشاء، فلا يجوز لأحد حضر طعامه بين يديه، وسمع الإقامة، أن يبدأ بالصلاة قبل العشاء، فإن فعل فصلاته باطلة، واحتج بحديث عائشة وحديث أنس وحديث ابن عباس وقد سبق ذكرهم. (المحلى ٤/٤٧).

وفي المسألة قَوْل آخر، وَهُوَ الجمع بَيْن أحاديث هَذَا الباب، وبين حَدِيْث عَمْرو بْن أمية، وما في معناه من طرح النَّبِيّ السكين من يده، وقيامه إلى الصلاة بالفرق بَيْنَ الإمام والمأمومين، فإذا دعي الإمام إلى الصلاة قام وترك بقية طعامه؛ لأنه ينتظر، ويشق عَلَى النَّاس عِنْدَ اجتماعهم تأخره عنهم، بخلاف آحاد المأمومين، وهذا مسلك البخاري في صحيحه. (فتح الباري لابن رجب ٤/١٠٩).

فنجد أن الجمهور حمل هذا الأمر على الندب، ثم اختلفوا فمنهم من لم يقيده وعليه يدل فعل ابن عمر، ومنهم من قيده بمن كان محتاجًا إلى الأكل وهو المشهور عند الشافعية، وزاد الغزالي ما إذا خشي فساد المأكول، وأفرط ابن حزم فقال: تبطل الصلاة، ومنهم من اختار البداءة بالصلاة إلا إن كان الطعام خفيفًا نقله ابن المنذر عن مالك وعند أصحابه تفصيل قالوا يبدأ بالصلاة إن لم يكن متعلق النفس بالأكل أو كان متعلقًا به لكن لا يعجله عن صلاته فإن كان يعجله عن صلاته بدأ بالطعام واستحبت له الإعادة.

وحاصل الأمر أَنَّهُ إذا حضر الطعام كَانَ عذراً في ترك صلاة الجماعة، فيقدم تناول الطعام، وإن خشي فوات الجماعة وكذلك للمنفرد إذا أراد الصلاة ، ولكن ينبغي لترك الصلاة من أجل الأكل أن تتوافر شروط هي:

١- أن يكون الطعام حاضرًا.

٢- أن تكون نفسه تتوق إليه.

٣- أن يكون قادرًا على تناوله حسًا وشرعًا.

فإن لم يحضر الطعام ولكنه جائع، فلا يؤخر الصلاة؛ لأننا لو قلنا بهذا؛ لزم أن لا يصلي الفقير أبدًا؛ لأن الفقير قد يكون دائمًا في جوع، ونفسه تتوق إلى الطعام.

ولو كان الطعام حاضرًا ولكنه شبعان لا يهتم به فليصل، ولا كراهة في حقه.

وكذلك لو حضر الطعام، لكنه ممنوع منه شرعًا أو حسًا. فالشرعي: كالصائم إذا حضر طعام الفطور عند صلاة العصر، والرجل جائع جدًا، فلا نقول: لا تصل العصر حتى تأكله بعد غروب الشمس؛ لأنه ممنوع من تناوله شرعًا، فلا فائدة في الانتظار.

وكذلك لو أحضر إليه طعام للغير تتوق نفسه إليه، فإنه لا يكره أن يصلي حينئذ؛ لأنه ممنوع منه شرعًا.

والمانع الحسي: كما لو قدم له طعام حارٌ لا يستطيع أن يتناوله فهل يصلي، أو يصبر حتى يبرد؛ ثم يأكل؛ ثم يصلي؟ الجواب: يصلي، ولا تكره صلاته؛ لأن انتظاره لا فائدة منه. (الشرح الممتع على زاد المستقنع ٢٣٧/٣).

والحكمة في تقديم الأكل على الصلاة هو تفريغ القلب لذكر الله، وتحصيل فضيلة الخشوع في الصلاة فعن الحسن بن علي قال: "العشاء قبل الصلاة يذهب النفس اللوامة". أخرجه ابن أبي شيبة، وقال أبو الدرداء: من فقه المرء إقباله على حاجته حتى يُقبل على صلاته وقلبه فارغ، قال ابن حجر: "وفي هذا كله إشارة إلى أن العلة في ذلك تشوف النفس إلى الطعام، فينبغي أن يدار الحكم مع علته وجودًا وعدمًا ولا يتقيد بكل ولا بعض". (فتح الباري لابن حجر ١٦١/٢).

وقال ابن قدامة: "وجملة ذلك أنه إذا حضر العشاء في وقت الصلاة فالمستحب أن يبدأ بالعشاء قبل الصلاة ليكون أفرغ لقلبه وأحضر لباله" (المغني لابن قدامة ٦٩١/١).

قال النووي: "في هذه الأحاديث التي وردت في هذا الباب كراهة للصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله لما فيه من اشتغال القلب وذهاب كمال الخشوع". (شرح النووي على صحيح مسلم ٤٦/٥).



فائدتان:

الأولى: قال ابن الجوزي: "ظن قوم أن هذا من باب تقديم حق العبد على حق الله، وليس كذلك، وإنما هو صيانة لحق الحق ليدخل الخلق في عبادته بقلوب مقبلة، ثم إن طعام القوم كان شيئًا يسيرًا لا يقطع عن لحاق الجماعة غالبًا.

الثانية: ما يقع في بعض كتب الفقه إذا حضر العشاء والعشاء فابدؤوا بالعشاء لا أصل له في كتب الحديث بهذا اللفظ. (فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٦٢/٢).

وينبغي أن يُنبه أنه لا يجوز اتخاذ هذا وسيلة لترك الجماعة، كأن يُهيئ طعامه عند حضور الصلوات بقصد التخلف عنها، فإنه يعامل بنقيض قصده، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات). فإذا نوى مخالفة الشرع وتفويت هذه الفريضة عليه من شهود الصلاة مع الجماعة فإنه يأثم بهذا الفعل، وقال طائفة: لا يُرَخص له. فتسقط الرخصة عنه معاملة له بنقيض قصده، والمعاملة بنقيض القصد الفاسد معروفة شرعاً ومعهودة عند العلماء رحمة الله عليهم.

فالمقصود أن حضور الطعام المراد به نضجه وتيسر أكله له مع تعلق نفسه به، فإن كان الطعام لم ينضج بعد فإنه ينصرف إلى صلاته، وكذلك إذا كانت نفسه لا تتعلق بهذا الطعام، بمعنى أنه في شبع ولا يجد الحاجة لهذا الطعام، فيجب عليه شهود الجماعة إعمالاً للأصل. (شرح زاد المستقنع للشنقيطي ١٦٦/٣).

وللحديث بقية إن شاء الله، ونسأل الله أن يفقهنا في ديننا وأن يعلمنا ما ينفعنا.

دراسات قرآنية

الأمثال في القرآن

«ضرب الأمثال»

إعداد: مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

«فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» (النحل:٧٤).

المعنى الإجمالي:

قال ابن القيم عليه رحمة الله في «إغاثة اللهفان» (٢٣٠/٢): «فنهاهم أن يضربوا له مثلاً من خلقه، ولم ينههم أن يضربوه هو مثلاً لخلقه، فإن هذا لم يقله أحد، ولم يكونوا يفعلونه، فإن الله سبحانه أجلُّ وأعظمُ وأكبرُ من كلِّ شيء في فطر الناس كلهم، ولكنْ المشبهون المشركون يُغْلُونَ فيمن يعظمونه فيشبهونهم بالخالق، والله سبحانه وتعالى أجلُّ في صدور جميع الخلق من أن يجعلوا غيره أصلاً ثم يشبهونه سبحانه بغيره، فالذي يشبهه بغيره إن قصد تعظيمه لم يكن في هذا تعظيم لأنه مثل أعظم العظماء بما هو دونه، بل بما ليس بينه وبينه نسبة وشبه في العظمة والجلالة، وعاقل لا يفعل هذا.

وإن قصد التنقيص شبهه بالناقصين المذمومين لا بالكاملين الممدوحين، ومن هنا يعلم أن إثبات صفات الكمال لا يتضمن التشبيه والتمثيل لا بالكاملين ولا بالناقصين، وأن تلك الصفات يستلزم تشبيه بأنقص الناقصين، فانظر إلى الجهمية وأتباعهم جاؤوا إلى التشبيه المذموم فأعرضوا عنه صفحًا، وجاؤوا إلى الكمال والمدح فجعلوه تشبيهًا وتمثيلاً عكس ما يثبته القرآن، وجاء به من كل وجه. اهـ.

المعنى التفصيلي:

قال الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير: «فَلاَ تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللَّه يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ» (النحل:٧٤)، تفريع على جميع ما سبق من الآيات والعبر والمنن، إذ قد استقام من جميعها انفراد الله تعالى بالإلهية، ونفي الشريك له فيما خلق وأنعم، وبالأولى نفي أن يكون له ولد وأن يشبه بالحوادث فلا جَرَمَ استتب للمقام أن يفرع على ذلك زجر المشركين عن تمثيلهم غير الله بالله في شيء من ذلك، وأن يمثلوه بالموجودات.

وهذا جاء على طريقة قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ

اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ » (البقرة:٢١، ٢٢).

وقوله: « وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ » (يس:٧٨)، والأمثال هنا جمع مثل- بفتحتين- بمعنى المماثل، كقولهم: شَبَّه بمعنى مشابه وضربُ الأمثال شاع استعمالُه في تشبيه حالة بحالة وهيئة بهيئة، وهو هنا استعمال آخر.

ومعنى الضرب في قولهم: ضرب كذا مثلاً مستعمل مجازًا في الوضع والجعل من قولهم ضرب خيمة وضرب بيتًا، قال الفرزدقُ:

ضَرَبتْ عليك العنكبوتُ بنَسْجِهَا
وقضى عليك به الكتابُ المنزلُ

أي: جعل شيئًا مثلاً أي شبها، قال الله تعالى: « ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ » (الروم:٢٨)، ووجه كون الإشراك ضرب مثل الله أنهم أثبتوا للأصنام صفات الإلهية وشبهوها بالخالق، فإطلاق ضرب المثل عليه مثل قوله تعالى: « وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا » (الزخرف:٥٨)، وقد كانوا يقولون عن الأصنام هؤلاء شفعاؤنا عند الله، والملائكة هُن بنات الله من سَروات الجن، فذلك ضرب مثل.

وفي قوله تعالى: « وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » (البقرة:٢١٦) استدعاءٌ لإعمال النظر الصحيح ليصلوا إلى العلم البريء من الأوهام. اهـ. بتصرف من التحرير والتنوير.

وفي «التفسير القرآني للقرآن»: قوله تعالى: « فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ » (النحل:٧٤)، الأمثال جمع مثل وهو شبيه الشيء ونظيره. وضرب المثل: مقابلته بمثله، حين يجمع بين النظير ونظيره، أو الشيء وضده كما يقول سبحانه: « كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ » (الرعد:١٧)، والأمر هنا موجه على المشركين، الذين يضربون أمثالاً يقيمون منها حججًا لضلالهم، وهي أمثال باطلة فاسدة تولدت من عقول مريضة وقلوب سقيمة كما يحكي القرآن بعض أمثالهم في قوله تعالى: « وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ » (يس:٧٨).

أما الأمثال التي يضربها الله تعالى فهي التي تكشف الطريق إلى الحق والخير لأنها أمثال مستندة إلى علم الله المحيط بكل شيء.

« إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » (النحل:٧٤). اهـ. التفسير القرآني للقرآن.

وقال في «روح البيان»: « فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ » (النحل:٧٤) أي: فلا تشبهوا الله بشيء من خلقه وتشركوا به، قال ضرب المثل تشبيه حال بحال وقصة بقصة والله تعالى واحد حقيقي لا شبه له أزلاً وأبدًا.

قال في الإرشاد: أي لا تشبهوا بشأنه تعالى شأنًا من الشئون.

وفي تفسير أبي السعودي (١٢٨/٥): قوله تعالى: « فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ » (النحل:٧٤) أي: لا تمثلوا لله الأمثال، ولا تشبهوا له الأشياء فإنه لا مثيل له ولا شبيه له، والقصد من ذلك النهي (أي لا تشركوا به شيئًا، وقيل: لا تشبهوا بشأنه تعالى شأنًا من الشئون».

وقوله: « إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » (النحل:٧٤) أي: أنه تعالى يعلم كُنْه الأشياء وأنتم لا تعلمونه، فدعوا رأيكم، وقفوا مواقف الامتثال لما ورد عليكم من الأمر والنهي ويجوز أن يكون المراد: فلا تضربوا لله الأمثال، إن الله يعلم كيف تضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون ذلك فتقعون فيما فيه من مهاوي الردى والضلال. اهـ.

وقال ابن كثير: قوله تعالى: « فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ » (النحل:٧٤) أي: لا تجعلوا له أندادًا وأشباهًا وأمثالاً « إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » (النحل:٧٤) أي: أنه يعلم ويشهد أنه لا إله إلا الله وأنتم بجهلكم تشركوا به غيره.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م

ومن أهدافها

١ الدعوة إلى التوحيد الخالص المطهر من جميع الشوائب، وإلى حب الله تعالى حبًّا صحيحًا صادقًا ، يتمثل في طاعته وتقواه، وحب رسوله صلى الله عليه وسلم حبًّا صحيحًا صادقًا ، يتمثل في الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.

٢ الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين : القرآن والسنة الصحيحة، ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

٣ الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدةً وعملاً وخُلُقًا .

٤ الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم، والحكم بما أنزل الله ، فكل مشرِّع غيره - فيما لم يأذن به الله تعالى - معتدٍ عليه سبحانه ، منازِع إياه في حقوقه .


التوحيد
أوسع المجلات الإسلامية انتشاراً في العالم
ثمن الكرتونة
١٠٥٠ جنيه
مجلدات التوحيد مكتبة علمية .. تحتاج إليها
المكتبة الإسلامية
المكتبة العامة
مكتبتك الخاصة
الأسرة المسلمة
لا يستغني عنها بيت مسلم
الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم من مجلة التوحيد
أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية داخل مجلدات التوحيد
كتابات وأبحاث وإنتاج فكري لمشايخ وعلماء ودعاة من مصر والعالم الإسلامي
للاستفسار يرجى الاتصال
بقسم الاشتراكات بمجلة التوحيد
23936517